



رقم المذكرة: 2026/18

مذكرة مقدمة لاستكمال المتطلبات لنيل شهادة الماستر

الميدان: اللغة والأدب العربي

الشعبة: دراسات لغوية

التخصص: لسانيات تطبيقية

عنوان المذكرة

الربط اللساني بين معاني النص الأدبي وفونولوجيا التشكيل الصوتي - نماذج مختارة من كتاب اللغة العربية للأولى متوسط -.

إشراف الدكتور:

أسماء بن عيسى

إعداد الطالبة:

إيمان بن عيسى رحال

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	مؤسسة الانتماء	الصفة
د/مولات أمينة والي	محاضر-ب-	جامعة عين تموشنت	رئيسا
د/أسماء بن عيسى	محاضر-ب-	جامعة عين تموشنت	مشرفا، ومقررا
د/أمينة بلغول	محاضر-ب-	جامعة عين تموشنت	ممتحنا

السنة الجامعية: 1446هـ-1447هـ / 2025-2026



شكر وتقدير

✓ تبارك تعالى الذي وفقنا لإتمام هذا العمل، وأنار لنا طريق العلم والمعرفة، فله الحمد والشكر على نعمه التي لا تُحصى.

✓ كما نتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير والامتنان إلى الأستاذة المشرفة الدكتورة "أسماء بن عيسى"، التي كانت مثالاً في التوجيه والمتابعة، ورافقتنا بعلمها ونصائحها القيّمة طوال مراحل إنجاز هذه الدراسة، فكان لدعمها العلمي والأكاديمي الأثر الكبير في إخراج هذا العمل على هذه الصورة.

✓ كما نتوجه بخالص الاحترام والتقدير إلى أعضاء لجنة المناقشة الموقرة، لتفضّلهم بقبول مناقشة هذه الدراسة، وإثرائها بملاحظاتهم العلمية القيّمة.

✓ ونرفع أسمى عبارات الامتنان إلى جميع أساتذتنا الأفاضل، الذين غرسوا فينا حب العلم والبحث، وكانوا منارات نهتدي بعلمها وفكرها.

✓ ولا يفوتنا أن نعبر عن عميق شكرنا وامتناننا لعائلتنا الكريمة، التي كانت السند الحقيقي والداعم الأول، بصبرها وتشجيعها ودعائها المتواصل.

✓ كما نشكر كل من ساهم من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل، سائلين الله تعالى أن يجعله عملاً نافعاً ومفيداً.

إهداء

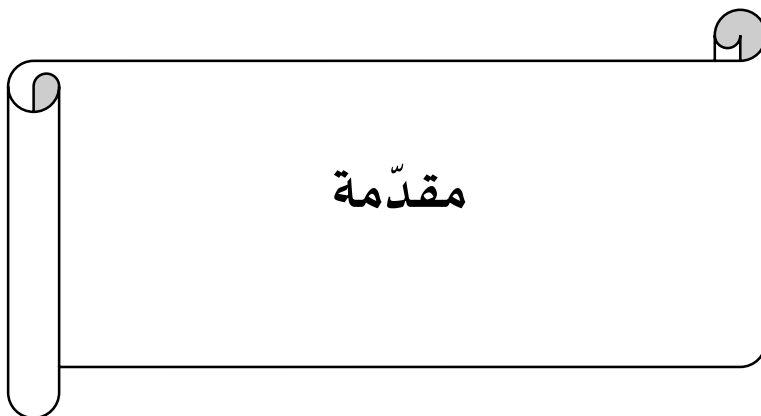
➤ أهدي هذا العمل المتواضع إلى والدي العزيز، إلى من كان مدرسةً في الصبر والقوة والتضحية، وإلى من غرس فيّ روح الإصرار والاجتهاد، وكان سندًا لي في مختلف مراحل حياتي، فكان دعمه بعد الله سببًا في بلوغي هذه المرحلة.

➤ وإلى والدي الغالية، نبع الحنان الذي لا ينضب، والقلب الذي احتواني حبًا ودفئًا قبل أن أطلب، والدعاء الذي رافقني في كلّ خطواتي. إلى من سهرت لأرتاح، وتعبت لأستمر، وكانت لي دائمًا مصدر الأمان والطمأنينة والأمل.

➤ وإلى أهلي جميعًا، الذين أحاطوني بالمحبة والدعم والثقة، وكانوا ولا يزالون سندًا حقيقيًا لي في كل الظروف، لم يخلوا عليّ يومًا بكلمة تشجيع أو موقف وفاء خفف عني مشقة الطريق.

➤ وإلى إخوتي وأخواتي، رفقاء الدرب والذاكرة، الذين شاركوني لحظات التعب قبل التّجّاح، وكانوا لي عونًا ودافعًا للاستمرار، فكان وجودهم بجانبني نعمةً أعتزّ بها.

➤ وأهدي هذا الجهد المتواضع، عربون وفاءٍ وامتنانٍ لكلّ من كان له الأثر البالغ في مسيرتي، ودعاءً صادقًا بأن يحفظكم الله جميعًا، ويجزيكم عني خير الجزاء، ويجعل ما قدمتموه لي في ميزان حسناتكم.



تقوى الأمم بحضارتها، منها الأدب الذي يعدّ مرآة عاكسة لها، والذي يأنس الإنسان بذوقه، وتحيا به اللغة؛ ذلك أنّ معظم اللغات الحيّة تمتلك طاقتها الأدبية، تلك النابعة من تفجير القرائح؛ سواء على مستوى النظم أو النثر الصادر على ألسنة أبنائها.

ولما كان الأدب، يشكّل واحدا من أعمدة اللغة في بنائها، وتكريس انتظامها اللساني؛ فإنّ تدريسها يُبنى على فحوى نصوصه التي تتزاحم في الكتب من طور إلى آخر، ليمثّل المتوسطّ طورا من هذه الأطوار؛ بالنظر إلى ما يصاحب كتاب العربية من غنى نصّي، يعدّ زادا لعدد النشاطات التي يمارسها التلميذ بمعية المتعلّم.

و ما يعيننا من اهتمام بهذه النصوص، ضمن هذا البحث، هو الاتّكاء على إشكالية رئيسة، يدور فحواها حول كيفية تعزيز الجانب اللساني في فهم هذه النصوص، وإيصال معناها إلى تلميذ المتوسط؛ ومن ثمّ فسح الطريق أمام المعطيات اللسانية؛ كي تجد لها مساحة في رحاب الطرائق البيداغوجية التعليمية.

ولذا جاء هذا العمل موسوماً: "الربط اللساني بين معاني النص الأدبي وفونولوجيا التشكيل الصوتي - نماذج مختارة من كتاب اللغة العربية للأولى متوسط -"، فكما يظهر من العنوان أنّ التركيز قائم على المستوى الفونولوجي، لتكريس هذا الطرح العلمي المزدوج.

وبناء على الإشكالية المشار إليها، والتي تمثّل أساس البحث في كليّته؛ فإنّه يتبلور لدينا السؤال الجوهرى: إلى أيّ مدى تسهم اللسانيات في خدمة تعليمية النص الأدبي عموماً؟ وفي الطور المتوسط أنموذجاً؟.

ويتفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من الأسئلة الفرعية، أهمها:

ما مفهوم الفونولوجيا؟ وكيف تتجلى في تعليمية النص الأدبي؟ وما هي أبرز النماذج المتاحة لتطبيقها ضمن الكتاب النموذج؟.

وبين الإشكالية والسؤال الجوهرى، تتكرس أهمية الموضوع ؛ في كونه يفتح طرائق التدريس على ضرورة التجديد والتطوير فيها بما يخدم التعليمية، ضمن حدود رسمها التي يرسمها النص الأدبي؛ عبر نشاط فهم المكتوب؛ من بوابة اللسانيات ذات المنفذ الفونولوجي.

وفي سبيل تجسيد الهدف، اعتمدنا "المنهج الوصفي" منهجا رئيسا في تقديم التوصيف النظري للمفاهيم؛ لاسيما وأنّ العمل يركز على الظاهرة الصوتية الفونولوجية، فكان بدا من عرض الجانب النظري لهذا المفهوم اللساني، فضلا عن تهيئة التطبيق على النص الأدبي بتعريفه هو الآخر، كما شهد العمل التوصيف النظري للمجال الجامع؛ أي التعليمية.

ويتبعه "المنهج التحليلي" الذي اعتمدناه في صلب الترسيم العملي للموضوع؛ أي في جانبه التطبيقي الذي استلزم تحليل بعض الأصوات تحليلًا دلاليًا؛ لبلوغ أثرها في فهم النص الأدبي لدى المتعلم؛ إذ يترافق هذا المنهج مع التأويل؛ عن طريق تأويل تلك الدلالات الهامشية للفونيم، وإسقاطها على المعنى الكلي للنص.

ولا ندعي أنّ ظروف هذا البحث قد جاءت كلّها في يسر، بل تخلّلتها بعض الصعوبات التي، وإن أرهاقنا في بعض الأحيان إلّا أنّها لم تثننا عن بلوغ المراد النهائي، وتحصيل النتائج المثمرة منه التي جسّدتها الخاتمة في آخره.

ولعلّ أبرز تلك الصعوبات هي صعوبة المفاضلة بين النماذج؛ من حيث الاختيار، خاصّة وأنّ كل ما جاء في الكتاب من نصوص له غايته ورسالته، فما اخترناه؛ بناءً على الشحنة الدلالية لكل نص لا ينقص من قيمة باقي النصوص؛ بيد أنّ الاختيار اقتضى منّا أن نقبّل النظر كثيرا في جميع المقاطع التعليمية.

وكأيّ بحث علمي لا يخلو من دوافع، قادتنا نحو اختياره، و التصميم على معالجة موضوعه رغم الصعوبة، بدءًا بالذاتي منها الذي يتلخّص في ميولنا إلى الجانب التعليمي، وهو ما يرفع من الحسّ الانضباطي والشعور بالمسؤولية؛ كوننا سنلج السلك بعد التخرّج.

أما السبب الموضوعي، فهو ماثل في رغبتنا الطموحة في أن نبادر بفكرة تدعم التخصص، ونحن هنا لا نفرضها قسراً؛ بل نقترح فقط من باب المساهمة العلمية، التي لربما تفتح المجال، وتوسّع الآفاق لبحوث معرفية أخرى أعمق.

ومن جانب آخر؛ فإنّ ما يجعل الدراسات السابقة تنتفي في شكلها المباشر هو أنّه-في اعتقادنا - النابع من التنقيب، ليس ثمّة ما يلامس موضوعنا في حدوده؛ كأن يتناول الصوامت لوحدها على سبيل المثال أو الصوائت أو حتّى المقطع؛ بربط المعطى منها بالفهم الدلالي لتعليمية النص الأدبي في المتوسط.

وهو ما يجعل هذا العمل يكتسي نوعاً من الجدّة؛ كونه يقوم بهذا الصنيع؛ فضلاً عن أنّه يبلور الصلة العلمية بين المعطيات الفونولوجية والدلالة ليس ربطاً تقليدياً، بل عن طريق إدراج المفعّل التعليمي كطرف رئيس في الفكرة الجوهرية التثويرية.

لندلف مباشرة نحو المراجع الأساسية للبحث؛ إذ كانت عدّتنا في إنجازها جملة من الدراسات شكّلت قوامه، والتي نذكر أبرزها كتاب "علم الأصوات بين القدماء والمحدثين" لعلي مزبان، وكتاب "التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية" لمحمود عكاشة، وكتاب "المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي" لعبد الصبور شاهين، وكتاب "الأصوات اللغوية" لإبراهيم أنيس.

هذا دون أن نغفل الكتاب التعليمي النموذج الذي يعدّ مصدراً، يستند العمل إلى معطيات نصوص أدبه؛ فأُنجز في رحابه، ليستقرّ إعداداه على خطّة ضمتّ جميع تفصيلاته؛ إذ نذكر الرئيس منها بدءاً بالمدخل الموسوم "الفونولوجيا: المفهوم ومتعلّقاته" الذي تناولنا فيه أداة التطبيق؛ أي المعطى الفونولوجي؛ من حيث المفهوم، وما يتعلّق به.

ثمّ مرورا بالفصل الأول المعنون " تعليمية النص الأدبي وعلاقتها بالفونولوجيا الذي عالجنا في ضوئه العلاقة بين الطرفين الجوهر للبحث هما تعليمية النص الأدبي والفونولوجيا ؛ إذ تعدّ هذه الجزئية البحثية تمهيدا للتطبيق.

ومنه نحو الفصل الثاني الذي وسمناه " الأثر الفونولوجي في فهم النص الأدبي المتوسطي _ نماذج من الأولى متوسط _"، فكان المساحة التطبيقية الهامة لتجسيد الطرح الموضوعي للبحث، والإجابة عن إشكاليته عمليا؛ بواسطة النماذج النصوية المنتقاة.

ثم خاتمة ، ضمناها أهمّ النتائج التي توصّلنا إليها في أعقاب هذا البحث، والتي أدرجنا من خلالها توصيات هامة، تخدم الموضوع في كليته، وما يروم أن يقدمه في المجال العام الذي تُحدّد حدوده بواسطة التعليمية واللسانيات.

ختاما نسأل الله وليّ العرش العظيم أن نكون قد وفّقنا في ملامسة جوانب هذا الموضوع الشائق ، والإحاطة به تنظيرا وتطبيقا ، وما توفّقنا إن بلغناه إلّا بفضل الله؛ وإن اعترى جهدنا من النقص، فهو طبعيّ في كلّ إنسان.

لنتوجّه في نهاية المطاف بالشكر الجزيل إلى الأستاذة المشرفة الدكتورة " أسماء بن عيسى " التي لم تبخل علينا بتوجيهاتها السديدة، و ملاحظاتها القيّمة التي أعطت لهذا العمل طابع العلمية ، فاستوى على صورته التي انتهى إليها، فكان قابلا بفضل الله للمناقشة.

وآخر دعوانا الحمد لله ربّ العالمين

عين تموشنت، يوم 11 ماي 2026

طالبة العربية: إيمان بن عيسى رحال.

مدخل:

الفونولوجيا: المفهوم ومتعلّقاته

ينحو هذا المدخل ؛نحو تخصيص الحديث عن المحور الرئيس في بناء صرح هذا العمل؛أي الفونولوجيا التي تتلاقح معرفيا مع العملية التعليمية للنص الأدبي في طور المتوسّط، الذي نراهن عليه من خلال نماذجه في بلورة هذه الصلة العلمية.

فالفونولوجيا باب معرفي ،له قيمته في الدرس اللساني؛كونه يُعنى بالمستوى القاعدي للغة،ما يجعل البحث في هذا المجال ضرورة لا مناص منها؛لاسيما وأنّ الأمر منوط بالتركيب،وهو ما يخدم عديد أنواع النصوص والخطابات ،منها النص الأدبي الذي عليه مدار دراستنا .

ودليل أهمية هذا العلم ؛هو أنّه يضرب بإرهاصاته في جذور التاريخ اللغوي العريق؛في صورة ما قدّمه الدرس اللغوي القديم؛وإن كان العرب لم يدركوه كمصطلح، بل كظاهرة جادت بها تصوّرات عباقرتهم اللغويين كابن جنيّ زعيم الدلالة الصوتية.

1-في ماهية الفونولوجيا:

تتأسس ماهية الفونولوجيا (Phonologie) كطرف صوتي،ضمن منحى تقابلي بينها ،وبين الفونتيك (phonetics)، الذي يكتسي هو الآخر قيمته العلمية في نطاقه المعزول خارج تركيبة اللغة أو بنيتها.

فعلماء الأصوات المعاصرين حصروا دراستهم في نسقين أساسيين هما الفونتيكا أو علم الأصوات اللغوية والفونولوجيا أو علم الأصوات الوظيفي¹، ومهما يكن من أمر ؛فإنّ كليهما يمثل أُسًا لدرس اللغة الصوتي.

فلا أفضلية إذن لنسق على الآخر؛مادام يمثّلان في نهاية المطاف الدراسة الصوتية اللسانية؛بل إنّ العلاقة بينهما إن أمكن وصفها علميا هي علاقة تكامل؛ فالفونولوجيا تعتمد في دراستها على المادّة الخام للفونتيك.

¹ ينظر: عصام نور الدين، علم الأصوات الفونتيكا، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1992، ص7.

وبين هذا وذاك " يشكّل الصوت الإنساني مادّة اللغة الأولى في الدراسة اللغوية، لأنّ كلّ أمة، أو كل جماعة لغوية تعتمد منهاجاً محدّداً ومميّزاً في صوغ كلماتها من الأصوات التي ينتجها "الجهاز النطقي" الإنساني، ثمّ تصوغ، من الكلمات، الجمل والتراكيب بغية التعبير بها عن حاجاتها المادّية والمعنوية التي لا حصر لها"¹.

فالجامع بين النسقين هو قيمة العموم التي تطغى على قيمة الخصوص، أو أيّ تمييز من شأنه أن يتمّ، لنستحضر لكلّ طرف ماهيته بدءاً بالفونولوجيا الأساس لهذا البحث؛ من حيث التطبيق، والتي ترتكز على موضوعها الخاص الذي من جنسها.

فتعرف بأنّها العلم الذي يدرس الأصوات؛ بالنظر إلى ما يميّزها؛ فهي وحدات ذات وظيفة لغوية، تقوم بتفريق المعاني وتمييز الدلالات²، ففي هذا التعريف تحديد دقيق للجهد الفونولوجي الدائر في بنية اللغة، التي هي بحاجة إلى تميّز دلالتها، فتجد من بين وسائل مخرجاتها الدراسة الفونولوجية، التي تبحث في تحليّات المعنى عبر الفونيم.

فالفونولوجيا وسيلة اللغة من اللغة ذاتها، وأداتها هي الأخرى من جنسها؛ باعتبار "الفونيم" هو الموضوع الرئيس الذي يقوم عليه هذا الفرع الصوتي، ونظير قيمته في تأطير هذا النمط، وكذا دوره؛ فإنّ الدارسين قد خصّوه بالاهتمام.

وهو ما يقتضي أن نعرّج على مفهومه كأسّ جوهرى للموضوع، ولكن لا بدّ قبل ذلك من مواصلة المسار التفكيكي لعلم الأصوات عموماً، مادّنا في سياق الشائبة (فونيتيك / فونولوجيا)، فردف إلى المفهوم الفونولوجي المفهوم الفونيتيكي.

¹ المرجع السابق، ص 05.

² ينظر: عبد العزيز أحمد علام، عبد الله ربيع محمود، علم الصوتيات، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، المملكة العربية السعودية، (د.ط)، 2009، ص 47.

فالفونتيك، يتكفل في مهمته بالجانب النطقي؛ أي دراسة الأصوات على ما هو عليه واقعها نطقا، من نواحيها المتعددة فيسيولوجية كانت أو فيزيائية، أو إدراكية¹، فالذي يحيل عليه التعريف هو التناول المجرد بحثا في السمات التي تشكل كينونة الصوت اللغوي.

2-موضوع الفونولوجيا:

في ظلّ التحديد السابق، يتبين موضوع الفونولوجيا الذي يقوم أساسا على الفونيم phonème؛ فعليه مدار البناء الكلّي لجوهر هذا العلم، الذي يوصف أيضا بعلم وظائف الأصوات أو علم الأصوات التشكيلي، لتدور حوله عدّة صياغات تعريفية، تستند إلى معطيات متباينة.

فهناك من التعريفات النفسي أو العقلي، والمادّي، والوظيفي، وكذا التجريدي*؛ ولعلّ أكثر التعريفات مناسبة لهذا المقام البحثي هو التعريف الوظيفي، الذي يعضد وظيفية الفونولوجيا المشار إليها آنفا، والذي نستخلصه من لدن أحمد مختار عمر.

يقول اللغوي المصري واصفا ما يحيط بالمصطلح "ومعظمهم شرح الفونيم مشيرا إلى وظيفته الأساسية في التفريق بين المعاني"². ففي هذا تعريف صريح، ينطق به الوصف؛ على أنّ الفونيم هو وحدة صوتية تميّز بين المعاني داخل اللغة.

وبالنظر إلى هذا المعطى اللغوي؛ فإنّه ينقسم إلى فونيمات أساسية، وأخرى ثانوية؛ إذ لكل نوع منها شكله ودوره في التحديد الدلالي، وهو ما أطلق عليه الدارسون تسميتين مختلفتين هما الفونيمات التركيبية وفوق التركيبية.

¹ ينظر المرجع السابق، ص 47.

*من الباحثين الذين قاموا بإحصاء هذه الأنماط التعريفية للفونيم علي حسن مزبان، يراجع: كتابه: علم الأصوات بين القدماء والمحدثين، دار شموع الثقافة، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، ط1، 2003، ص 83 وما بعدها.

² أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1985، ص 151.

1-الفونيمات التركيبية Segmental Phonemes :

هي وحدات أساسية، تندرج ضمن نطاق التشكيل اللغوي للكلمة، لتتوزع بين الصوامت والصوائت، ويطلق عليها أيضا تسمية الفونيمات أو الأصوات القطعية.

ولا نريد من حديثنا عن هذا النوع استفاضة؛ ذلك أنّ أمر الصامت والصائت مألوف لدى أغلب القراء الباحثين، فحسبنا الإشارة الطفيفة فقط من باب التذكير؛ إذ تمثل الصوامت الأصوات الصحيحة في عرف القدماء عدا أصوات العلة، بينما تفيد الصوائت تلك الأصوات التي يندفع معها الهواء دون عائق¹.

فالصوائت كما هو معلوم في لغوية الصوت، تضطلع بدورها بناء على تقسيمها الشائع الذي يضمّ الطويل منها والقصير، لتحوّل صوب النوع الثاني الذي يباين هذا النمط من الفونيمات؛ من حيث القيمة التي تغدو ثانوية.

2-الفونيمات فوق التركيبية Suprasegmentals :

هي فونيمات فوق قطعية لا تمسّ التشكيل الصوتي بشكل مباشر ضمن كلمات اللغة والجملة؛ بل تظهر في الأداء، ويعوّل عليها أيضا في بلوغ الدلالة على شاكلة الصوامت والصوائت، وتوصف " بالعناصر الصوتية الثانوية"².

لتشمل ظواهر كثيرة؛ أبرزها النبر والتنغيم، ولن نخوض في تفصيل مظاهر هذا النمط في المدخل بناء على ما سيؤول إليه البحث لاحقا في التطبيق؛ أين سيتمّ الحديث عنها تنظيرا وتطبيقا في الوقت نفسه، في صلة ذلك بالمحور العام للعمل.

¹ ينظر: حسن مزبان، علم الأصوات بين القدماء والمحدثين، ص58.

² محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط2، 2011، ص18.

ليقذف بنا البحث نحو حصر وظائف الفونولوجيا، وتأكيد أهميتها في مجال اللسانيات عموما والدرس الصوتي على وجه التحديد، فلا يعدّ الحديث عن هذا العلم ترفا فكريا؛ بل هو مجهود لغوي، يفضي إلى نتائج مثمرة في حال تطبيقه.

3-أهمية الفونولوجيا ووظائفها:

الذي يعطي الشرعية للإيمان بقيمة علم وظائف الأصوات؛ هو كون اللغة بدونه مبتورة؛ فهي ليست مجرد أصوات معزولة؛ بل نظام صوتي مركّب، يستهدف المعنى، فاللغة بدون دلالة هي شكل فقط أو جسد بلا روح.

فتضطلع الفونولوجيا بالبحث في الوظيفة الدلالية التي تؤديها أصوات اللغة، مما ينعكس على الكلمة والتركيب ككل، فهي تفسّر اشتغال الأصوات وظيفيا وداليا داخل النظام اللساني التركيبي العلائقي، الذي هو مزيج من المستويات.

هذه المستويات التي هي في الأصل تنأى عن الانفصال إلّا بما يخدم الجانب التعليمي، وفي هذا السياق يقول أحد الدارسين " ولا يقصد من هذا التقسيم أنّ كلّ قسم مستقل بذاته عن المستويات الأخرى، وإّما المقصود تسهيل عملية الدراسة، والتخصّص في مستوى، أو جانب واحد منها دون غيرها، للتعصّد في تناول جزئياته، واختلاف أبعاده"¹.

وبهذا نستخلص أنّ الفونولوجيا هي حلقة ضمن سلسلة من التجانس اللساني، وهو ما يبرّر علاقتها بمستويات اللغة بدءا بالمستوى الأوّل في حدّ ذاته الذي تنتمي إليه، مروراً بعلاقتها بالمستوى الصرفي والنحوي والدلالي.

فالعلاقة بين الفونولوجيا والمستوى الصوتي، تتجاوز المؤلف؛ كون هذا الفرع يستقرّ كيانه اللغوي أساسا ضمن الحلقة الصوتية، لتركّز على العلاقة بينه وبين الفونتيك؛ فهي علاقة معرفية قائمة على

¹ محمد علي عبد الكريم الرويني، فصول في علم اللغة العام، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، طبعة 2009، ص24.

البناء التكاملي؛ طرفه الأول الفونتيك التي تهيء المساحة المعرفية اللازمة؛ في ضوء ما توقّره من معطيات حول الصوت المنطوق فيسيولوجيا و فيزيائيا؛ فالآكد أنّ انعدام الفونتيك، يجعل الدراسة الفونولوجية ذات ضبابية؛ بالنظر إلى عدم إدراك طبيعة ذلك الصوت، ومخرجه، وخصائصه النطقية، وما شابه. وفي الوقت نفسه، يحتاج هذا الفرع بدوره إلى ما يعضده، وهنا تظهر وظيفة الفونولوجي، ومعها الفونولوجيا في إتمام عمل الفونتيكي؛ ومن ثم إعطاء الأصوات نفسا جديدا، يجعلها قادرة على الإبداع اللغوي الدلالي الوظيفي .

ومن ثمّ؛ فإنّ العلاقة بينهما تنمّ عن أهميّة الطرفين، وحاجة بعضهما إلى بعض دون الإغلاء من شأن فرع بعينه، وما الاسترسال في الحديث الفونولوجي هنا إلّا بمقتضى ما يفرضه البحث أولا؛ كونه يختصّ بهذا الشأن، وما يقتضيه المدخل من تطويق المصطلح من أغلب جوانبه.

أمّا علاقة الفونولوجيا بالمستوى الصرفي؛ فهي علاقة تؤطّرها الصلة العامّة بين الصرف وعلم الأصوات؛ ضمن المبدأ العام الذي أقرّه الدارسون، والذي يؤكّد حاجة علوم اللغة إلى بعضها كحقيقة تنطق بها الممارسة اللغوية.

وذلك في صورة ما يراه عبد الصبور شاهين في سياق تثويره للدراسة الصرفية برؤية جديدة، فلا يجد ضيرا أن يربط الصرف بالجانب الصوتي؛ بل إنّ الأمر ضرورة قصوى لا مناص منها؛ إذ من غير الممكن دراسة بنية الكلمة دون النظر في أصواتها، والمقاطع التي تحتويها؛ فكلّ تغيير يطرأ على مستوى البنية؛ إنّما هو صوتي المنشأ؛ نتيجة التفاعل الحاصل بين عناصرها الصوتية في ممارسة الكلام¹.

فنحن إذن على صعيد صرفي فونولوجي، يقيم وزنا للعلاقة بين الطرفين اللغويين؛ ذلك أنّ البنية هي في الأصل نتاج الأصوات عبر التدرّج اللغوي الذي ينتقل بالمتكلّم؛ وهو يمارس اللغة تلقائيا من القاعدة نحو نسق تصاعدي؛ أي الكلمة ببنائها الصرفي، ومن جانب آخر تظهر وظيفة الفونولوجيا من هذا الجانب؛ كونها تسهم في فهمه، وفكّ شفرة التغيّرات الحاصلة فيه.

¹ ينظر: عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ط)، 1980، ص25.

هذا ؛وتتحقق الصلة الفونولوجية والنحوية كطرف لغوي آخر بناء على معطيات علم الأصوات الوظيفي التي تخدم النحو ؛من ذلك حركات الإعراب التي هي في الأصل حركات صوتية ، تحدد معنى الكلام الذي ينجر عنه صحته.

وكما هو معلوم ؛فإنّ الحركات في الفونولوجيا، تستقرّ ضمن باب الصوائت القصيرة ،ولابدّ للباحث وهو يتناول هذا الجانب أن يميّز بين نوعين منها؛ بالنظر إلى ماهيته ووظيفته، ويتعلّق الأمر بحركات البناء أو الشكل ،وكذا علامات الإعراب.

فالنوع الأوّل هي "علامة تستعمل أعلى الحرف أو أسفله في الكتابة لتبين صفة النطق في الأداء،والحركة تؤدي دورا مميزا في دلالة الكلمة"¹، فهي على سبيل المثال لا الحصر التي تميّز بين الفعل والاسم في مثل: "ضرب"،فهي بالفتح فعل،ويسكون الراء اسم أو مصدر وتحدد زمن الفعل في مثل ضرب،يضرب..².

أمّا النوع الثاني ،وهو ما يعنينا أكثر من توطيد الصلة الفونولوجية النحوية؛ فينهض في فحواه بما تحقّقه العلامات الإعرابية في موقعها المنوط بها ،وبناء على فائدة ما تعمل لأجله ؛ فإنّ الإعراب يعمل بدوره على هدف المعنى.

فالإعراب ميزة العربية التي تميّزها عن اللغات الحيّة والطبيعة؛وذلك بطبيعة فونولوجية،ليشترك النحو مع الصوت معا في صناعة المعنى؛وهنا تظهر وظيفة الفونولوجيا ؛في علاقتها اللغوية مع المستوى النحوي الذي لا ينفكّ عنها هو الآخر.

والإعراب كما يقول ابن جني(ت392هـ)" هو الإبانة عن المعاني بواسطة الألفاظ"³، فلا إبانة إذن للفاعل والمفعول إلّا بصناعة فونولوجية،فهي الكفيلة بتحديد الإعرابات المختلفة للغة،ومعانيها التي تنضح بها.

¹محمود عكاشة،التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية،ص34.

²المرجع نفسه،ص.ن.

³ أبو الفتح عثمان بن جني،الخصائص،تحقيق:محمد علي النجار،المكتبة العلمية،(د.م)،(د.ت)،ج1،ص35.

ومن النحو إلى الدلالة؛ إذ تعدّ الفونيمات phonèmes عناصر وظيفية؛ تساهم في تمييز المعاني؛ وذلك على مستوى الصوامت والصوائت التي لا تشكّل بنية الكلمة فحسب، بل تتحكم في معناها (قال، سال)؛ وهو ما يبرز تسمية العلم بعلم وظائف الأصوات.

ولا يقف الرهان الوظيفي عند حدود الأصوات الرئيسة، بل يمتدّ إلى الأصوات الثانوية؛ من خلال الدور الدلالي الذي يؤدّيه النبر stress، وكذلك التنغيم intonation، فكلّ كلام في اللغة العادية أو الشعرية إلّا ويحمل في نطقه هاتين السمتين.

فالمتكلّم يتقصّد النبر؛ بالضغط على كلمة معيّنة على سبيل التأكيد والتلميح الدلالي؛ ومن ثمّ يرتبط هذا المعطى الصوتي بالمعنى المراد تبليغه وإيصاله؛ فالزيادة في نبر مقطع صوتي أو كلمة، يجعل منها بارزة، ومُلفتة إليها، وذات تمييز عن غيرها في السياق الكلامي¹.

ولا يخلو التنغيم من توجيه للمعنى، فهو أيضاً يُحدث الأثر الدلالي في الكلام؛ من خلال ما يصاحبه من تلوينات صوتية، أكثر ارتباطها بالأساليب التعبيرية؛ على غرار الاستفهام، والتعجب، والاستنكار، وغيرها.

فلا تتحقّق هذه التّنوعات الأسلوبية إلّا في كنف التنغيم الذي يرسم تعبيرها، ويحدّد دلالتها؛ بناء على الموقف التواصلّي في مقام معيّن؛ لاسيّما وأنّ النبر والتنغيم خاصيتان فونولوجيتان، ترتبطان بالمنطوق في الصدارة.

وفي جميع الأحوال يؤكّدان دينامية الأصوات وحيويتها، التي تشتغل في نسق مشترك وعام، يتميّز بالتجانس والانتظام الذي يصنع منها وحدة متجانسة ومنظمة، وفي هذا السياق يدلي عبد القادر عبد الجليل في بحثه الصوتي.

¹ ينظر: رشيدة بودالية، النبر ووظائفه في اللغة العربية، مجلّة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، مج 23، ع 4، 2023، ص 135-136.

يقول الباحث: "إنّ السلسلة الكلامية لأية لغة من اللغات، ليست، في الواقع، مجموعة من التكتلات الصوتية المفردة، تنطق مستقلة، بكيانات ذاتية، بل هي مجموعة هذه الأصوات، المتناسقة والمنظمة في تراكيب لغوية، يحمل كل تركيب منها خصائص تعكس الصور الذهنية، والدلالات المرتبطة في السياقات اللغوية، ووسايات الحال، وفق تنوّعات صوتية منتظمة"¹.

تلك إذن تمظهرات الفونولوجيا في المستويات، والتي يظهر أنّها تمتلك فعالية كبيرة في التحكم باللغة من صوتها إلى غاية دلالتها، فجميع أنظمة الكلام اللغوي تخضع لها في أداء دورها ووظيفتها اللغوية المنوطة بها.

ومن جانب آخر، لا يمكن أن نغفل أمرا لغويا بالغ الأهمية ألا وهو البعد التداولي؛ فالتداولية دراسة اللغة في حالة الاستعمال؛ ضمن سياق تواصل معيّن، وهو ما يتقاطع مع الفونولوجيا التي ترتبط هي الأخرى بالسياق؛ في ضوء مظاهر النبر والتنغيم التي تتجلى في المقامات المختلفة.

فهي ظواهر ترتبط بالموقف التواصلية، ولا تمتلك ميزة صوتية فحسب، بل هي ذات سمة تداولية؛ كونها كما -أسلفنا الذكر- تؤدي دورا في بناء المعنى، وتوجيه الدلالة المقصودة التي يريد المتكلم إيصالها إلى المتلقي.

4- الفونولوجيا بين التراث اللغوي العربي والدرس اللساني الحديث:

تكتسي الفونولوجيا أهميتها؛ بالنظر إلى توقعها ضمن واحدة من أبرز مدارس الطرح اللساني الحديث، ويتعلّق الأمر بمدرسة براغ التي أخذت على عاتقها بناء تصوّر منهجي في دراسة اللغة، يكسر حدود دي سوسير اللسانية.

فالأوضح من تسميتها أنّها "سلكت مسلكاً جديداً، إذ جعلت من دراسة اللغة - وفق هذه النظرية - تقوم على أساس الوظائف التي تؤديها اللغة في المجتمع"²، فالمدرسة ذات طابع لساني وظيفي.

¹ عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط2، 2014، ص212-213.

² هدى صلاح رشيد، تأصيل النظريات اللسانية الحديثة في التراث اللغوي عند العرب، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2015، ص181.

وضمن هذا المسعى، يبرز الجانب الصوتي في المدرسة، وتبرز في نطاقه الفونولوجيا التي ارتبطت باسم براغ، وفيها اشتغلت نظرية الفونيم، وتكَلَّلت جهود الباحثين بنتائج ومخرجات صوتية ألقت بأثرها على الدرس اللساني عموماً، والصوتي خاصة.

ومن هنا "يكمن تميز الوظيفية- في هذا المجال- في صياغتهم للقوانين الفونولوجية، وتناولهم إياها بشكل دقيق في تحليل اللغة، وهذا التميز الذي حازته بحوث الوظيفيين في مجال الفونولوجيا، لا يعني أنّ هذا الميدان كان مجهولاً عند العرب القدماء بل إنّ التراث الصوتي العربي القديم ينبئ عن بحث فونولوجي ناضج"¹.

وليس بوسع هذه الدراسة أن تتوسّع في الأمر، لتكشف عن إرهاصات الفونولوجيا وأصالتها في تراثنا اللغوي؛ ذلك أنّ الأمر يقتضي مساحات كبيرة من العمل؛ في حين أنّ غاية المدخل عموماً أنّه يقدم بعض الشذرات المتناثرة من الفونولوجيا؛ كونها المحور الرئيس الذي يدور حوله البحث .

وحسبنا أن نشير إلى ابن جني؛ بصفته زعيماً للدلالة الصوتية الذي صال وجال فيها بملاحظاته الصوتية المقنّنة فونولوجياً داخل التركيب اللغوي العربي، والتي تُرسم معالمها في كتبه؛ ضمن أبواب ومباحث غنيّة (تصاقب الألفاظ/إمساس الألفاظ)، والتي تنمّ عن عبقرية الرجل اللغوية، ودقّة نظره العلمي.

صفوة القول عن هذا المدخل أنّه بمثابة أرضية تمهيدية، تحيط بالمصطلح الرئيس للبحث ومتعلقاته، ليتسنى لنا بعدها ربطه بالطرف الثاني الذي يلازمه ألا وهو تعليمية النص الأدبي، وهو ما سنخصّص إطاره النظري في الفصل الأول للحديث عن الصلة بين الطرفين الفونولوجي والتعليمي الأدبي.

¹ المرجع السابق، ص 203.

الفصل الأول

تعليمية النص الأدبي وعلاقتها بالفونولوجيا

توطئة:

يشكّل النص الأدبي عصب التفاعل لعديد المجالات العلمية، وما ينضوي تحتها من مفاهيم، منها اللسانيات في صبغتها الصوتية النموذج، ذات الطابع الفونولوجي، الذي يتجاوز حدود الصوت المجرد إلى الدراسة داخل تركيب اللغة.

ومن هذا المنطلق، تتأسس هذه الدراسة؛ بناء على ربط التواشج المعرفي بين هذا النص والمعطى الصوتي؛ بإدراج التعليمية كعنصر فاعل ومؤثر، يؤطر العلاقة بين الطرفين بكيفية علمية، تربط المعطيات النظرية للسانيات بشقّها التطبيقي التعليمي.

وعليه سنقوم بتفكيك المفاهيم الأساسية المكوّنة لعنوان الفصل الأول للبحث؛ من نص وأدب وتعليمية، متجاوزين المفهوم التنظيري للفونولوجيا؛ باعتبار ما سبق في المدخل وصولاً إلى إبراز التفاعل بين المكوّنين الأساسيين ألا وهما المعطيات الفونولوجية، وكفاءة تعليم وتعلّم النصوص الأدبية.

أولاً/ في ماهية النصّ الأدبي:

يستلزم الخوض في غمار المصطلح المركّب أن نمارس عليه التفكيك؛ وذلك بغية تحديد المعاني اللغوية والدلالات الاصطلاحية لمكوّنيه؛ ومن ثمّ نيل المراد من تحصيل التعريف الجامع المانع.

1/ مفهوم النص:

يعد مصطلح النص " texte " من المصطلحات المركزية في دائرتي الاشتغال النقدي واللساني، وعلى قدر شيوعه؛ فإنّه يلتبس مع نظيره الخطاب لدى كثير من الدارسين؛ سواء المشتغلين في الحقل الأول أو الثاني.

فعندما " نقرأ بعض الدراسات نجد كثيراً منها قد استعملت مصطلح النص (...) وتقصّد به الخطاب Discours، ونجد كثيراً منها قد استعملت الخطاب وهي تقصّد النص، وهناك دراسات أخرى تجعل

المصطلحين مترادفين وكأتهما شيئاً واحداً لا فرق بينهما، ولذلك نتساءل: ما الفرق بين النص والخطاب؟ أين يلتقيان وأين يفترقان؟¹.

فلإجابة عن هذا السؤال الجوهرى الذي يقيم وزناً للفرق بين المفهومين؛ فإنه ينبغي أن نقف وقفة متأنية عند ماهية كل منهما بما جادت به التعريفات العربية ونظيرتها في الثقافة الغربية؛ سواء من الناحية المعجمية أو الاصطلاحية.

1-1 النص في الثقافة العربية:

الباحث في معاجنا العربية القديمة عن ماهية النص، يلقي لمادة المصطلح معاني وضعها المعجميون العرب القدامى، فهذا الجوهرى (393هـ)، يلقي بظلال معناه على مادة "نص" بقوله: "نصبت ناقتي، قال الأصمعي: النص السير الشديد حتى يستخرج أقصى ما عندها. قال: ولهذا قيل نصصت الشيء: رفعته. ومنه منصّة العروس. ونصصت الحديث إلى فلان، أي رفعته إليه. (...) ونصصت الرجل، إذا استقصيت مسألته عن الشيء حتى تستخرج ما عنده. ونص كل شيء: منتهاه"².

فالذي يفهم من هذا التعريف إحالة المعنى الذي تحمله المادة في نظر الجوهرى إلى معنى الرفع؛ سواء أكان شيئاً أم كلاماً أو حتى سؤالاً، وكذا بلوغ منتهى الشيء. لنردفه بتعريفات أخرى لعلها تضيف إلى المادة معاني أخرى تحملنا على التوسع.

يقول ابن منظور الإفريقي (ت711هـ): "والمنصّة: الثياب المرفعة والفرش الموطأة. ونصّ المتاع نصّاً: جعل بعضه على بعض (...) ونصّ الشيء: حرّكه (...) وانتصّ الشيء وانتصب إذا استوى واستقام"³.

¹ بولخوط محمد، إشكالية النص والخطاب بين الأصل والفرع، مجلة دراسات، جامعة بشار، مج7، ع2، 2012، ص186.

² إسماعيل بن حماد الجوهرى، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1979 ج1، 1058.

³ أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ج7، ص97-98.

ويقول الفيروزآبادي (ت 817هـ) مبيّنًا معنى المادة: "و" النصّ: الإسناد إلى الرئيس الأكبر، والتوقيف، والتعيين على شيء ما"¹. فجامع التعريفين يؤدي إلى تحصيل معاني إضافية، أضافها كلّ من صاحب اللسان و صاحب القاموس.

ومن ثمّ؛ تدور مادة "نصّ" الجذر في فلك عدّة معاني لغوية، نستشفّها من التعريفات السابقة، والتي تتمثّل تباعا في الرفع والاستقصاء، وكذا منتهى الشيء والحركة والاستواء والاستقامة، فضلا عن الإسناد والتوقيف والتعيين.

أمّا اصطلاحاً؛ فإنّ النصّ في اصطلاح العلماء القدامى هو ما يحتمل معنى واحداً، أو هو ما لا يحتمل التأويل²، لينحو الشريف الجرجاني (ت 816هـ) بالمفهوم نحو المعنى الصريح الواضح، وعدم قابلية التأويل.

ولمفهوم النص في الثقافة العربية ارتباطه الوثيق بالقرآن الكريم، فلم "يعرف العرب في تاريخهم ممارسة نصيّة تامّة إلاّ مع القرآن الكريم"³، فأدركوا خباياه؛ منها نصّ ألفاظه التي لا تقبل أن يطرق باب الاحتمال فيها أصلاً، فتكون قطعية ودالّة دلالة صريحة وواضحة.

وفي التفكير العربي الحديث، ينهض مفهوم النص بعدّة تعريفات صاغها الدارسون على اختلاف مشاربهم، فيعرّفه محمّد مفتاح بقوله: "إنّ النص عبارة عن وحدات لغوية طبيعية منضّدة متّسقة"⁴. فهو تعريف يركّز على الجانب الشكلي للنصّ، الذي يقوم على الاتساق والتناضد بين وحداته وأجزائه اللغوية.

¹ بجد الدين الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ضبط وتوثيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د.ط)، 2010، ص 568.

² ينظر: علي بن محمد الجرجاني، معجم التعريفات، حقّق وقدّم له ووضع فهارسه: إبراهيم الأبياري، دار الريان للتراث، (د.م)، (د.ط)، (د.ت)، ص 309.

³ عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، منشورات الدار الجزائرية، الجزائر العاصمة، ط 1، 2015، ص 21.

⁴ محمد مفتاح، التشابه والاختلاف نحو منهجية شمولية، المركز الثقافي العربي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص 35.

وفي المقابل ، يضع حسين خمري هذا المعطى أمام إمكانية الترادف بينه وبين المتن corpus؛ أي عمل أو مجموعة من الأعمال الخاصة بكاتب معين، أو مرحلة محدّدة ،أو موضوع معين، أو عدّه من قبيل الإنتاجية بمفهوم جوليا كريستيفا¹.

فالذي يميّز النص من هذا المنظور هو تجرّده من السكون، لينفتح على نصوص أخرى ، تمثّل التداخل الذي يطبع النص النموذج في تعالقه مع باقي الخطابات، مما يحقق الإنتاجية وتناسل المعاني.

و الحقيقة أنّ القبض على مفهوم النص أمر مستعصي ،فهو مفهوم زئبقي؛ شأنه شأن نظيره الخطاب، وهو ما يقرّ به الباحث نفسه الذي يعزو الصعوبة إلى تباين التوجّهات، التي يحاول أصحابها أن يطبعوا مفهوم النص بطابع توجّههم.

يقول: " يحاول كلّ اختصاص أن يستأثر بهذا المفهوم ويجعل منه حجر الزاوية في مقارنته للموضوع الذي يحلّله .وتختلف وجهات النظر في تعريف " النص " من اللغوي إلى اللسانياتي إلى الناقد ،إلى المؤرّخ ،إلى الفيلسوف ،إلى المفسّر،إلى اللاهوتي"².

وعليه في سياق هذا التعدّد ، يصعب على هذا البحث في جزئته أن يحيط بكلّ التعريفات إلّا ما يفى بالغرض كما في التعريفين السابقين ؛أحدهما يحيل القارئ على شكل النص ولزومية العلاقات التي تفرضها عناصره المنسجمة بينها، والثاني يبيّن سمته الانفتاحية و الانتاجية ؛عبر التناص.

بيد أنّه في الوقت نفسه لا ضير من أن نحيل القارئ على ما يجد فيه ضالّته من تعريفات، تمّ تصنيفها باعتبار الرؤى؛ إذ قدّم محمد عزّام ما يضع لمفهوم النص نظرة خاصة لدى كلّ من الظاهراتيين والسوسولوجيين والبنويين والسيمائيين³، ليتسّى لنا بعد هذا التوجيه أن نخوض في غمار الثقافة الغربية،

¹ ينظر: حسين خمري، نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال ، منشورات الاختلاف ،الجزائر، ط1، 2007،ص35.

²المرجع نفسه، ص35.

³ ينظر: محمد عزّام ، النص الغائب تجلّيات التناص في الشعر العربي -دراسة، اتحاد الكتاب العرب،دمشق،(د.ط)،2001، ص15-26.

وإدراك جانب من وجه المعرفة العلمية لهذا المعطى؛ أي النص، فكيف ينظر الغربيون إلى النص؟ وقبل ذلك ما هو أصله الاشتقاقي؟.

2-1 النص في الثقافة الغربية:

يقودنا الحديث عن النص في الثقافة الغربية إلى ضرورة معرفة الأصل الاشتقاقي للكلمة الأجنبية أولاً، مثلما وقفنا على الجذر المعجمي للمقابل العربي "نص" المأخوذ من مادة نصص ومعانيها كما رأينا.

فالنص كما يرى مرتاض¹ في أصل الاشتقاق والوضع في معظم اللغات الأوروبية الحديثة يعني باتفاقها "النسيج". نجده على ذلك في الفرنسية (texte)، والإسبانية (texto) والروسية (tekta)... وقد أخذت هذه الألفاظ كلّها من أصل واحد هو اللاتينية التي تطلق على النص "textus"، ويعني في هذه اللغة المنقرضة أيضاً "النسيج"¹.

وإذا ما أردنا لهذا المعنى ربطاً بمكوّنات النص؛ فيمكن القول كما يذهب الأزهر الزّناد أنّه؛ أي هذا المسمّى "نص" هو "نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض. هذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة"².

ذلك الأصل الاشتقاقي، أما النص في حدود الاصطلاحية الغربية، فله كينونته المعرفية في الفكر الغربي، والحديث في هذا المسعى أوسع وأصعب ممّا نتصوّر؛ نظراً لتشعب المفاهيم، وتباين التصوّرات بين المنظورات أولاً، وثانياً اختلاف التعريف داخل الحقل الواحد، بل علّة التباين ألقت بظلالها على الثقافة العربية.

فما التشعب الحاصل لدى الدارسين العرب المحدثين في دراساتهم اللسانية والنقدية إلّا قياساً على تباين المفاهيم الخاصة بالنص لدى الباحثين الغربيين؛ وذلك بفعل الترجمة؛ فكان من البديهي أن يقابل تشعب الأوائل توهان المترجمين.

¹ عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دار هومة، للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2010، ص45.

² الأزهر الزّناد، نسيج النصّ بحث في ما يكون به الملفوظ نصّاً، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993، ص12.

وإذا ما حصرنا الأمر في الحقل اللساني؛ فمبدئياً الذي يشكل النص هو متتالية من الجمل شريطة العلاقات بينها، أو بالأصح بين بعض عناصرها؛ ويتم ذلك بين عنصرين واردين في جملتين، تتميز الأولى بالسبق والثانية؛ كونها لاحقة¹.

فبهذا الوصف يُدرج مفهوم النص ضمن نطاقه المعرفي الذي يُؤطره ما يعرف بـ "لسانيات النص" التي تجسّد فرعاً مهماً من فروع البحث اللساني، الذي يتجاوز حدود الجملة نحو الوحدة الأكبر النص، فيمثّل التيمة الأساس لهذا العلم الذي يبحث في اتّساق النص شكلاً *cohésion* وانسجامه دلالة *cohérence*.

فقد "أخذ هذا المنحى الجديد على عاتقه الإجابة على جملة من التساؤلات أهمّها: كيف تتربط أجزاء النص فيما بينها؟. -و بم تتربط؟ أبالوسائل الشكلية التي تظهر على مستوى البنية السطحية للنص *structure du surface*، أم بروابط معنوية تكشف عنها البنية العميقة *profonde structure*؟ وما سمات النصّية؟ أو بالأحرى كيف نفرق بين النص وبين مجموعة من الجمل المتفرقة؟"².

فبهذا الشكل، يشكّل النص منظومة شكلية، يراهن اتّساقها على جملة من الأدوات؛ على غرار الإحالة والاستبدال والحذف والوصل والاتساق المعجمي؛ فكلّها أدوات تعكس تلك اللحمة من التماسك بين عناصر النص.

فالأتساق، تظهر أهميّته من خلاله التماسك القوي بين الأجزاء التي يقوم عليها النص، وتشكّل بنيته بشكل مستمر³، بينما يراهن الانسجام على الترابط الدلالي؛ من خلال أدواته أيضاً التي تتجسّد في السياق، والتغريض، والتأويل المحلي، والعلاقات الدلالية وغيرها.

¹ ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991، ص13.

² ليندة قيّاس، عبد الوهاب شعلان، لسانيات النصّ النظرية والتطبيق مقامات الهمداني أنموذجاً، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2009، ص9.

³ ينظر: خليل صلاح الدين بلعيد، لسانيات النص -ثنائية الاتساق والانسجام في خطاب الشعر العربي المعاصر، دار كردادة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2019، ص82.

وعلى شاكله الاتساق؛ فإنّ الانسجام يحوز بدوره على أهمية خاصة في معترك لسانيات النص، بما يقدمه للأخير من تلاحم على مستوى الدلالة؛ ذلك الذي يبدعه صاحب النص، ويتراءى للمتلقى الذي يستقبله.

فالانسجام يقود إلى مقبولية النصّ دلاليا وتداوليا ، فيحدث انسجامه في ذهن كلّ من المبدع والمتلقي على حدّ سواء ، ليستطيع الفهم وممارسة العملية التأويلية؛ ذلك أنّ الانسجام أعمق من نظيره الاتساق.

بعد هذه النظرة المقتضية إلى مفهوم النص في الثقافتين العربية والغربية؛ فإنّه بإمكاننا أن نستحضر الخطاب على وجه المقارنة، وإقامة الفرق بين النظيرين، وإن بدا الخطاب بمواصفاته يعلو على النص.

ويستلزم الأمر قبل هذا الصنيع أن نعرّف بالخطاب Discours كذلك بدءا بشقّه اللغوي ، الذي يؤول إلى مادّة "خطب" ذات الحضور البارز أيضا بحمولتها من المعاني التي تنضح بها المعاجم العربية.

فنلتمس معنى الجذر لدى أحمد بن فارس (ت395هـ) في المقاييس، والذي يقول فيه: "الْحُاءُ وَالطَّاءُ وَالْبَاءُ أَصْلَانِ أَحَدُهُمَا الْكَلَامُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، يُقَالُ خَاطِبُهُ يُخَاطَبُهُ خِطَابًا، وَالْخُطْبَةُ مِنْ ذَلِكَ (...) وَالْخُطْبَةُ: الْكَلَامُ الْمَخْطُوبُ بِهِ"¹.

وإلى المعنى ذاته، يشير ابن منظور في اللسان قائلا: "وَقَدْ خَاطَبَهُ بِالْكَلَامِ مُخَاطَبَةً وَخِطَابًا، وَهُمَا يَتَخَاطَبَانِ. اللَّيْثُ: وَالْخُطْبَةُ مَصْدَرُ الْخُطْبِ، وَخُطِبَ الْخَاطِبُ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَاخْتِطَبَ يَخْطُبُ خِطَابَةً"². فالخطاب لدى المعجميين القدامى له تصوّره الخاص، ضمن نسقه المشترك.

¹أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.م)، (د.ط)، 1979، ج2، ص198.

²أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص361.

فهو كلام موجّه، يقتضي وجود الطرفين الأساس في التواصل هما المخاطب والمخاطب، ويجمعهما الكلام المخطوب، أو ما يعرف بالرسالة في المنظور التواصلية اللساني الحديث.

وفي العرف الاصطلاحي، يستوي الخطاب مفهوماً مهماً في الضقة الأخرى؛ إذ يعرفه إميل بنفست بأنه "كلّ تلفظ يفترض متحدّثاً ومستمعاً، تكون للطرف الأول نية التأثير في الطرف الثاني بشكل من الأشكال"¹.

فالخطاب لدى اللساني الفرنسي، يقوم على نية التداول اللساني التأثيري، كما يعرفه الفرنسي الآخر دومنيك مانغونو تعريفاً خاصاً، بإعطائه صبغة خاصة؛ هي الصبغة التواصلية، التي تضع اللغة ضمن نطاقها الاستعمالي.

يقول: "إنّ مصطلح خطاب، من حيث معناه العام المتداول في تحليل الخطابات، يحيل على نوع من التناول للغة، أكثر مما يحيل على حقل بحثي محدّد، فاللغة في الخطاب لا تعدّ بنية اعتبارية بل نشاطاً لأفراد مندرجين في سياقات معيّنة"².

ففي هذا التعريف ما يحيل على ميزة الخطاب؛ في كونه ينحو نحو السياق؛ ذلك أنّ اللغة فيه تكون في حالة استعمال، وهو ما يميّز الخطاب عن نظيره النص كما سنرى، وقبل ذلك لا بدّ أن نسأل الضوء على مفهومه وطبيعته لدى الدارسين العرب.

فهذا نعمان بوقرة، يبيّن ماهيته بقوله: "الخطاب إنجاز في المكان يقتضي لقيامه شروطاً، أهمها المخاطب والخطاب والمخاطب"³. فانطلاقاً من هذا التعريف الذي يبيّن عناصر التخاطب ندلف إلى الفرق بينه وبين النصّ.

¹ مرتضى جبار كاظم، اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني - قراءة استكشافية للتفكير التداولي عند القانونيين، منشورات الاختلاف، ط1، 2015، ص25.

² دومنيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف الجزائر، ط1، 2008، ص38.

³ نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، جدارا للكتاب العالمي عمّان، ط1، 2009، ص14.

فبالرغم من التشابك الحاصل بين الطرفين إلا أنه يمكن أن نظفر بما يزيح الخلط بينهما؛ فالخطاب في انفتاحه على السياق، يتباين عن النص الذي لا يعدو كونه بنية لغوية متماسكة ذات الاتساق بين العناصر المكوّنة له.

يقول أحد الدارسين: "إنّ الخطاب، وإن كان لغة، إلا أنه يتجاوز اللغة، لأنه أثناء تحليله، ومحاولة الوقوف على طرق إنتاج الدلالة فيه، تراعى أطراف غير لغوية معلنة، على خلاف النظر الذي يميّز النص، على أنه بيئة مغلقة"¹.

وهو ما ينبغي أن يُراعى فعلا؛ ذلك أنّ الخطاب مرهون بظروف إنتاجه، أو ما يعرف بحيثيات التخاطب التي رسم الدارسون على ضوءها المعادلة الشهيرة التي تميّز بين النص والخطاب؛ بناء على وجود السياق وانتفائه.

هذه الدينامية كما يرى عبد الجليل منقور، هي التي يتمّ من خلالها الإبداع؛ إذ يتمّ إبداع أنظمة لغوية جديدة، تمتلك معجما لا يرتبط فيه الدال بمدلوله إلا لحظات التخاطب؛ ومردّ ذلك أنّ الحثيات التي ينتج بها الكلام هي التي تجعل من أنساق لغوية معيّنة خطابا، بينما تجريدها من الحثيات، يجعل منها دالّة على معاني اصطلاحية فقط²؛ ومن ثمّ؛ فإنّ معادلة الفصل الحاسم كما رسم فيها مانغونو حدود التلازم الحاصل بين أنساق اللغة وشروط إنتاج الخطاب تتجسّد على النحو التالي³:

ملفوظ (ENONCE) + ظروف التواصل = خطاب

استعمال اصطلاحى تخصيص

دلالة

معنى

¹نوري سعودي أبو زيد، المنهج التداولي في مقارنة الخطاب المفهوم والمبادئ والحدود، مجلة فصول، مصر، ع77، 2010، ص.121

²ينظر: عبد الجليل منقور، النص والتأويل دراسة دلالية في الفكر المعرفي التراثي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2010، ص36-37.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص37.

وعليه، فإنّ الفرق بين النصّ والخطاب، يستند إلى السياق وظروفه؛ في ظلّ تجرّد الأوّل، وخضوع الثاني، ممّا يجعل النصّ يحمل معنى ثابتاً من دلالات كلماته المباشرة، أمّا الخطاب؛ فهو يحمل دلالة لارتباطه بظروف إنتاجه.

أو بتعبير آخر "كلّ ملفوظ يندرج تحت نظام اللغة وقوانينها فهو نص، وإذا ما خرج ليندرج تحت السياقات الاجتماعية سُمّي خطاباً، فالخطاب إذن يضطلع بمهمّة توصيل رسالة، ومن ثمّ فهو مغمور في الأيديولوجيا، ومبالغ في خرق النظام بحثاً عن المرجع"¹.

تلك إطلاقة معرفية على ماهية النص ومقابلته بالخطاب؛ وذلك في سياق تفكيك المصطلح العام "النصّ الأدبي"، لنفسح المجال للمصطلح الثاني المركّب وهو الأدب، الذي وإن أُشبع تعريفاً إلا أنّ ضرورة هذا البحث اقتضت الوقوف عند ماهيته.

2/ في ماهية الأدب:

الأدب روح اللغة عموماً إلى جانب قواعدها الأمّ، كما أنّه سرّ من أسرار جمالها والحفاظ عليها؛ من خلال ما يتمّ تداوله بين الأجيال من نظم ونثر، جادت بهما قريحة العربي قديماً بالنسبة للعربية، ولا تزال القرائح الحديثة تحمل رسالة الإبداع.

2-1 الأدب لغة:

ورد في اللسان، مما يراه بن منظور "الأدب: الَّذِي يَتَأَدَّبُ بِهِ الْأَدِيبُ مِنَ النَّاسِ؛ سُمِّيَ أَدَباً لِأَنَّهُ يَأْدِبُ النَّاسَ إِلَى الْمِحَامِدِ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمَقَابِحِ. وَأَصْلُ الْأَدَبِ الدُّعَاءُ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلصَّنِيعِ يُدْعَى إِلَيْهِ النَّاسُ: مَدْعَاةً وَمَأْدُبَةً"². فتحمل المادة من الممارسات الحميدة؛ سواء على مستوى الأخلاق أو الدعوة، وما شابه.

¹ محمد مصاييح، شعرية النص بين النقد العربي والحداثي كافية أبي العتاهية تحليل أسلوبي، دار Taxidj Com، الجزائر العاصمة، (د.ط)، 2014، ص23.

² أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص206.

ويقول الزمخشري (ت538هـ) في أساسه: "هو من آدب الناس، وقد أَدب فلان وأَرَب. وتقول: الأَدب مأدُبه، ما لأحد فيها مأرُبه. وأدبهم على الأمر: جمعهم عليه يَأدبهم. يقال: إيدب جيرانك لتشاورهم"¹.

فالأدب في الثقافة المعجمية لدى العرب، يستمدّ معناه من الجذر الثلاثي (أ د ب) الذي يحمل معنى التأدّب بالمحامد والنأي عن المقابح، كما يتّصل بمعنى الدعاء أو الدعوة، مثلما هو شأن الدعاء إلى المأدبة، فضلا عن ارتباطه بمعنى المشورة.

هذا؛ ويشير شوقي ضيف إلى تطوّر معنى الكلمة؛ إذ جرت في استعمالها بمعنى الطعام الذي يدعى إليه الناس، كما يحيلنا على معناها في صلتها بالحديث الشريف، والذي أخذت معه منحى آخر، في ضوء قوله صلى الله عليه وسلم: "أدبني ربّي فأحسن تأديبي"، مروراً بمعناها التعليمي في عصر بني أمية؛ إذ ارتبطت الكلمة بطائفة المؤدّبين من المعلّمين، وصولاً إلى العصر العبّاسي؛ أين أورد فكرة التقابل بين المعنيين التهذيبي و التعليمي مستعرضاً من المؤلفات حوامل الأدب، وغيرها من مراحل التأريخ لمعنى الكلمة².

فكلمة الأدب لم تستقر على حال واحد، بل شهدت محطّات من المفاهيم عبر تاريخ العصور والقرون؛ لكي تستقرّ في نهاية المطاف على مفهومه الذي نألفه اليوم، والذي تجسّده تلك التعريفات الاصطلاحية التي تتقاذفها كتب الدارسين وبحوثهم.

2-2 الأدب اصطلاحاً:

تعدّدت تعريفات الباحثين للأدب، واختلفت صياغة في التعبير عن ماهيته بين المجالات، لنستحضر بعضاً مما صاغوه استئناساً بجزئية البحث في معناه الاصطلاحي.

¹ أبو القاسم جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: باسل محمد عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1998، ج1، ص22.

² ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي - العصر الجاهلي، منشورات ذوي القرني، (د.م)، ط2، 1427هـ، ص7-10.

فالأدب كما يقول الهاشمي: "عبارة عن معرفة ما يحتز به عن جميع أنواع الخطأ وهو قسمان طبعي وكسبي فالطبعي ما فطر عليه الإنسان من الأخلاق الحسنة والصفات المحمودة كالكرم والحلم – والكسبي ما اكتسبه بالدرس والحفظ والنظر (...). فحينئذ يعرف بأنه علم صناعي تعرف به أساليب الكلام البليغ في كل حال من أحواله: وهو المدعو بعلم الأدب"¹.

ويضيف قائلاً: "موضوعه الكلام المنظوم والمنثور من حيث فصاحته وبلاغته وغايته الأجداد في في المنظوم والمنثور على أساليب العرب وتهذيب العقل وتهذيب الجنان ، وفائدته أن يعصم صاحبه من زلة الجهل وأنه يروّض الأخلاق ويلين الطباع وأنه يعين على المروءة وينهض بالهمم إلى طلب المعالي والأمر الشريفة"².

ففي هذا التعريف ما يقترن به من توصيف للموضوع ما يتجاوز حدّ الأدب ؛من حيث كونه إمّا نظماً أو نثراً إلى قيمته التي تجمع بين التهذيب الذوقي والأخلاقي؛فهو يكسب الإتيان لأساليب العرب،و ينأى بصاحبه عن الجهل ، ويقوم بإصلاح العقل وتهذيب القلب ،و يحث على المروءة ،ويعلي الهمم في نيل ما شرف من الأمور ومعاليتها.

وإذا أردنا تعريفاً للأدب في بساطة مفهومه الشائع على ألسنة المعلمين والمتعلمين في الصفوف الدراسية ؛فإنه التعبير الفني الجميل الذي يعبر عن المشاعر والأحاسيس؛ سواء أكان شعراً أم نثراً.

والواقع الأكاديمي أنه من الدارسين أمثال محمد مندور من يعترض على المفهوم التقليدي للأدب ،ويصفه بالسطحية؛ذلك أنّ تعريفه ضمن النهضة المعاصرة كما يرى ؛هو تعريف سطحي وضيق الحدود ؛حين يعرف بأنه الشعر والنثر الفني للخطب والرسائل والمقامات والأمثال ؛ثمّ الأخذ من كل شيء بطرف³. وللرجل في مقابل ذلك إعلاء من نوع آخر وإعجاب.

¹أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.م)، ط30، (د.ت)، ج1، ص8.

² المرجع نفسه، ص.ن.

³ينظر: محمد مندور، الأدب ومذاهبه، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص7.

فهو يعلي من شأن التعريفات الغربية، فينظر إليها نظرة سعة؛ كونها تلامس الأدب؛ بوصفه شاملا لكافة الآثار اللغوية التي تمتلك من خصائص الصياغة ما يثير فينا الانفعالات العاطفية والإحساسات الجمالية؛ ومن ثمّ هم في حكمه لا يميّزون الأدب بالصنعة فحسب؛ بل بالأثر النفسي¹.

ذلك رأي مندور الذي قد يقبل، وقد يردّ؛ والحقيقة؛ إن كان هذا في مرحلته بالنظر إلى البيئة العلمية التي صاحبت وجهة نظر الناقد إلّا أنّه لا يمكن قياس الرأي على كافة أعلام النهضة المعاصرة ممّن اهتمّوا بالأدب؛ لأنّ الأخير لا يمكن تجريده من الجانب النفسي من قبل كلّ الدارسين.

ولا يمكن أن نختتم الحديث عن الأدب إلّا بتحصيل بعض جوانب أهمّيته مما يضاف إلى المذكور سابقا، فهو "وعاء الثقافة والحسّ والجمال والذوق الفنيّ لأمة من الأمم فليس الأدب- كما ينظر إليه كثير من اللغويين- مفردات وتعابير نوظفها في تعليم قاعدة أو استنباط علاقة نحوية أو بلاغية فقط، بل إنّ الأدب فنّ إنساني قائم بذاته، استمد أدواته من لغة تتكون من كلمات وتعابير استخدمها الأديب في رسم لوحة فنية اعتنى بألوانها، وأصواتها فباتت قطعة فنية تلفت الأنظار، وتجبر القارئ والسامع والمشاهد على التوقف عندها حتى تمتلئ العين وتشبع الروح من لذة، ومذاق ال تجد حلاوته إلّا في مطالعة تلك المنتوجات الأدبية"².

ومن ثمّ ؛ينفي هذا التوصيف مجرد كونه وسيلة لخدمة اللغة وقواعدها، وكذا خدمة البلاغة، بل هو فنّ قائم بذاته، يفرض صنعته ووجوده على المتلقي، الذي ينبهر بصنيع الأديب وإبداعه الذي قد يصل حدّ التكلف.

بعد تفكيك المصطلح العامّ "النص الأدبي" الذي يشكّل أحد أعمدة هذا البحث في بنائه؛ فإنّنا نصل إلى ماهية كليّته؛ إذ أجمع أغلب الدارسين على صعوبة الإلمام بها، فهو يُضمّ أيضا إلى زئبقية المفهوم.

¹ ينظر: المرجع السابق، ص8.

² أماني علاف، الأدب العربي وتوظيفه في تعليم اللغة العربية، مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، مؤسسة برادو للخدمات التعليمية بالملكة المتحدة، وبالشراكة مع مركز الأبرار للدراسات الإنسانية بالسودان، مج4، ع1، يناير 2023، ص3.

فلا يزال الارتباك واضحاً والإشكال يَبِّنا حول التنظير للنص الأدبي؛ لما يَتميّز به من الانفتاح ، ولذا من الصعوبة بمكان حصره في نظرية بعينها ، وهذا رأي كبار النقاد الذين استصعبوا مسألة تنظيره ، وحتى إن تمّ تضيقه في عناصر محدّدة؛ فإنّ تفسيره وعملية تأويله محطّ تباين واختلاف من دارس إلى آخر¹.

ومع ذلك بإمكاننا تعريفه تعريفاً إجرائياً، يؤوّل إلى ما عرضناه آنفاً من معنى النسيج الذي يحمله النصّ عموماً؛ ومن ثمّ نقول بأنّ النصّ الأدبي هو نسيج لغوي قبل كلّ شيء ، تتضافر صنعته اللغوية، لتعكس وجهها من أوجه الإبداع إمّا شعراً أو نثراً.

2-3 خصائص النص الأدبي:

تحدّد خصوصية النصّ الأدبي كنوع من أنواع النصوص ضمن دائرة الوجود اللغوي؛ بناءً على جملة من الخصائص التي تطبعه، وهنا نطرح السؤال: ماهي مواصفات النصّ الأدبي وخصائصه؟.

فأول مواصفاته التماسك الذي يظهر في تلاحم عناصر بنيته ، وهو الأمر الذي نادى به الشكلاونيون الروس الذين " طالبوا بمقاربة النصّ الأدبي مقارنةً بمحاثة بوصفه بنية فنية مغلقة ومكتفية بذاتها، لا تحيل على وقائع خارجة عنها مما يتجاوز لغتها ويتّصل بالذات المنتجة أو بسياق إنتاجها"².

فمتى وجد التحليل البنيوي للنصّ الأدبي؛ سواء مع الشكلانيين الروس أو البنيوية لاحقاً؛ فإنّ التماسك سمة مميزة ، وملح رئيس في ترابط العناصر والعلاقات التي تحكمها بناءً على الرافد و المنبع الأصل ألا وهو البنيوية اللسانية.

ومن مواصفات النصّ الأدبي توظيف الخيال الذي يعدّ روح هذا النصّ، بما يمتلكه من مسحة خيالية ، تميّزه عن النصّ العلمي الذي ينقل الحقائق؛ فالأدب ، ينهض على تلك الطاقة الإبداعية التي يتجاوز من خلالها رتبة المعنى اللغوي المباشر إلى بصمة المعنى الخيالي.

¹ ينظر: محمد سيف الإسلام بوفلاقة، النصّ الأدبي: إشكالية المفهوم وتعدد الدلالات - مقارنة مفاهيمية وصفية-، مجلّة المداد، مجلّة زيان عاشور، الحلقة، مج12، ع2، 2022، ص9.

² بسام قطوس، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2006، ص77.

فالخيال هو تلك الطاقة المفجّرة التي تنفجر منها الصور الفنيّة التي يعجّ بها النص الأدبي، وبالتالي يشكّل عاملاً مهماً من العوامل التي تساعد على شحذ الملكة الإبداعية لدى الأدباء لحظة الإبداع¹.

ويضاف إليه تكريس العاطفة التي يكتنزها النص؛ إذ تمثّل تجربة الأديب الصادقة التي تنمّ عن أحاسيسه ومشاعره، فلا أدب دون إحساس، وما يتجشّمه المبدع من نقلٍ للعواطف؛ حسب تصويره، والغاية من أدبه.

فهو "عنصر هام من عناصر نجاح العمل الأدبي يحتاج إليها كل شاعر وأديب كي يصل إلى قلوب قارئ عملة ومستمعيه قبل عقولهم، فمن خلال عاطفته وإحساسه يبرز الصور الأدبية في أبهج مظهر ويلبسها ثوب الرشاقة والجمال"².

ويستدعي الحديث عن خصائص النص الأدبي ومواصفاته استحضر خصائص أخرى؛ على غرار الوجدتين العضوية والموضوعية، وكذا الانزياح، وجمالية الأسلوب، فضلاً عن التناسل مما لا يسع هذه الدراسة التفصيل فيها؛ ذلك أنّ المقام هنا؛ هو مقام بسط عام لماهية النص الأدبي وخصائصه؛ لأنّه يمثّل عماد هذه الدراسة.

ويكفي القول أنّ كل خاصية من الموصفات التي يحوزها هذا النصّ، تضطلع بتحقيق قيمة محدّدة على صعيد الترابط بالنسبة للوجدتين، وعلى صعيد الجمالية؛ بواسطة الخرق والعدول والرونق الأسلوبية، فضلاً عن قيمة الانفتاح التي يضيفها التناسل بتفاعل النصّ، وتجاوز حدود العزلة إلى الصلة بعوالم نصوص أخرى.

¹ ينظر: قدور إبراهيم محمد، الخيال و المعنى الأدبي و الاستعارة في منهج النقد اللغوي، Revue LAROS، جامعة محمد بن أحمد وهران 2، مج 11، ع 1، 2019، ص 382.

² فاطمة محمد إبراهيم محمد، العاطفة في الشعر قصيدة ابن سَفر المربني أنموذجاً، المؤتمر العلمي الدولي الثاني لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج، 1444هـ/2023، ص 959.

لنفكّ إذن ارتباط هذا الفصل بجزئية النص والأدب، ونتّجه نحو التعليمية كمفهوم مركزي ثاني لهذا البحث المزدوج؛ كيف وهي الرباط الوثيق لعقد الصلة بين الطرفين الصوتي الفونولوجي والنصي الأدبي.

ثالثاً/ في حدّ التعليمية:

التعليمية كما هو معلوم حقل قائم بذاته، يشكّل أهمّ فروع المعرفة اللسانية التطبيقية، بل يغدو الحديث عن الدرس اللساني التطبيقي رهين هذا الحقل بالدرجة الأولى؛ بوصفه المهيم على باقي الفروع.

فتعليمية اللغة، تهدف إلى " جعل الممارسة اللغوية ممارسة حية، بابتكار طرائق وأساليب تدريسية حديثة، ووضع المقررات وتصميمها واعداد البرامج، ووضع الخطط الدراسية، وكل ما يتعلق بالمعلم والمتعلم على حد سواء"¹.

3-1 التعليمية لغة:

ليس في المعاجم العربية القديمة من حضور لمصطلح "التعليمية" إلّا أنّ أصله يعود إلى الجذر "علم" الذي جاء في فحواه المعجمي: " وخفيت معالم الطريق أي آثارها المستدلّ بها عليها. وفارس مُعلّم. وتعلّم أن الأمر كذا أي اعلم"².

وورد في القاموس المحيط قول صاحبه: " عَلِمَهُ، كَسَمِعَهُ، عَلِمًا، بالكسرِ :عَرَفَهُ، وَعَلِمَ هو في نفسه، وَرَجُلٌ عَالِمٌ وَعَلِيمٌ جَ عُلَمَاءُ وَعُلَآمٌ، كَجَهَّالٍ، وَعَلِمَهُ الْعِلْمَ تَعْلِيمًا وَعِلَامًا، كَكَذَّابٍ، وَأَعْلَمَهُ إِيَّاهُ فَتَعَلَّمَهُ"³.

فنتاج المعنى من تحصيل القولين؛ هو أنّ المادّة العربية، تحيل على الهدي والإرشاد من قولنا معالم الطريق؛ أي الآثار التي يتم الاهتداء بها، فترشد السائر، كما تحيل أيضا على العلم والمعرفة .

¹ زوليخة علّال، التعليمية المفهوم، النشأة والتطور، مجلّة كلىة الآداب واللغات، جامعة برج بوعريّج، ع4، جوان 2016، ص132.

² أبو القاسم جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، ج1، ص676.

³ سجد الدين الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص1028.

وفي جميع الأحوال؛ فإنه بين المعنيين خيط وصلٍ، يربط بينهما، ومعنى التعليمية في الاصطلاح؛ ذلك أنّ هذا الفرع اللساني الذي أضحيّ مجالا مستقّلا، يحظى باهتمام منقطع النظير؛ هو هديّ نحو ما يخدم التعليم عموما، وما خدمة التعليم بتدبر وسائله وخططه ومناهجه إلّا بالبحث والعلم .

3-2 التعليمية اصطلاحا:

لا يشقّ على الباحثين إيجاد تعريف واضح للتعليمية، بل بإمكان المبتدئ للوهلة الأولى أن يضبط عقارب المفهوم نحو التعريف الدقيق؛ وذلك بالنظر إلى كمّ الحدود الاصطلاحية التي قابل بها الدارسون هذا المصطلح.

وعلى كلّ، فإنّنا نتخيّر من التعريفات الواردة إلينا على سبيل المثال لا الحصر ما رسمه حلمي خليل الذي يعرف علم اللغة التعليمي بأنّه العلم الذي "يهتمّ بالطرق والوسائل التي تساعد الطالب والمعلّم على تعلّم اللغة وتعليمها، وذلك بالاستفادة من نتائج علم اللغة الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية"¹.

ويضيف مبيّنا عمله بأنّه "يضع البرامج والخطط التي تؤهّل معلّم اللغة للقيام بواجبه على الوجه الأكمل، في تعليم المهارات اللغوية (...) مثل: النطق والقراءة والاستماع والكتابة، وغالبا ما ينطلق هذا العلم من بعض النظريات اللغوية مثل النظرية السلوكية أو التحويلية التوليدية أو غيرها (...) كما يقوم بوضع "المقرّر التعليمي" وتصميمه، من حيث اختيار المادّة اللغوية من المفردات والتراكيب ومستويات المقرّر وطرق التعليم"².

فالتعليمية إذن علم تخطيطي له قيمته المعرفية؛ إذ مهمّته التعديل، وضبط المستجدّات من مناهج ومقرّرات وبرامج، ووسائل تعليمية والطرائق المثلى التي تجعل التعليم في دينامية مستمرة؛ ومن ثمّ ترصد كل ما يخدم المعلّم والمتعلّم.

¹ حلمي خليل، دراسات في اللسانيات التطبيقية، دار المعرفة الجامعية، مصر، (د.ط)، 2003، ص 76.

² المرجع نفسه، ص.ن.

هذا المراد العام الذي ينضوي تحته تعليمية مادّة في جميع المستويات من التعليم الابتدائي إلى الثانوي، منها المادّة العربية؛ بوصف لغة الضاد اللغة الأساسية؛ فما هذه التخطيطات إلا لخدمة لغة ما، ولا شك أنّ من أساسيات هذه اللغة هو نصّها الأدبي بنوعيه النثري والشعري، وهو ما يقودنا للحديث في هذا المساق النظري عن تعليمية النص الأدبي من باب التمهيد لما هو قادم من تطبيق.

3-3 تعليمية النص الأدبي:

يحيل هذا المصطلح في كينونته العلمية المركّبة على جانب مهمّ ومعين من جوانب التطبيق التعليمي الديدكتيكي، والذي يرتبط بتدريس النص الأدبي، والذي له كلفيته؛ في ظل الإصلاحات والمقاربات الجديدة.

ففي المرحلة الابتدائية، يحضر هذا النص في شكل قصص ومحفوظات ومسرحيات؛ غايتها تهذيب المتعلّم وغرس القيم السامية فيه، وتليها المتوسط بعدها مرحلة وسطى؛ تدرب التلميذ على قراءة النصوص قراءة تنسجم مع طبيعة النص، كما أنّها فرصة تدريبية أيضا للاحتكاك بالمعاني، وإدراك المفردات التي تخلق الاتّساق والانسجام، بينما تجعل مرحلة الثانوية فهمه أكثر نضجا، والأداء في القراءة والتحليل مرضي إلى حدّ بعيد¹.

ولسنا في هذا الشقّ النظري بصدد التفصيل في طريقة تدريس النص الأدبي وفق المقاربات الحديثة، فليس المقام مقام ذلك، علما أنّه سيكون لهذا الأمر صدى واهتماما به في الشقّ التطبيقي على سبيل التوصيف العملي المباشر، قبل بلوغ المراد ألا وهو استنطاق الجانب الفونولوجي، ودوره في تعليمية نصوص الأدب للمتوسّط، وتبليغها للمتعلّم.

فما أردناه هو لفظة إلى مفهوم المصطلح الذي يرتكن - كما أسلفنا الذكر - إلى تعليم ما تيسّر من نصوص أدبية، يختارها المسؤولون عن الشأن التأليفي لكتب المدارس، حسب التدرّج التعليمي من طور إلى آخر.

¹ ينظر: سلاف عطّاي، النص الأدبي في ضوء المقاربات البيداغوجية الحديثة، مجلة الرسمية، مجلّة ابن خلدون، تيارت، مج 1، ع 1، 2020، ص 124-125.

وفي نهاية المطاف، يظلّ تعليم هذه النصوص ضرورة لا مناص منها، بل الأجدد أن توفّر لها الجهود المضاعفة إلى جانب القواعد؛ مادام الأدب يمثل لسان العربية من جهة، ومن جهة أخرى تنمّي هذه النصوص لغة التلميذ، وتهذب ذوقه وطباعه.

وبين التعليمية والأدب، تقحم الفونولوجيا نفسها ليس إقحاما قسريا، بل مكوّنا لسانيا أساسيا؛ لأنّ النص الأدبي هو لغة قبل أن يكون أدبا شعوريا، ولا تستوي اللغة في تدرّجها إلّا بالارتكاز على المستوى الصوتي القاعدي.

ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتأخذ على عاتقها سبر أغوار التشكيل الفونولوجي للنصوص الأدبية التي توجّه إلى تلميذ المتوسط؛ من أجل الكشف عن إمكانية الدور الدلالي المهم التي تمارسه الأصوات داخل البنية اللغوية الأدبية، مما يضمن الفهم الأمثل للنص على سبيل المقاربة والاجتهاد اللساني الأدبي. وهو ما يقودنا حتما إلى العنصر المعرفي الموالي الذي نطرح فيه فكرة العلاقة التي تربط بين الفونولوجيا كفرع صوتي، وبين تعليمية النص الأدبي على سبيل العموم؛ سواء أكان شعرا منظوما أم نثرا؛ والغرض من هذا، يتجاوز التطبيق اللساني على الأدب إلى التحسيس بضرورة استثمار المخرجات اللسانية؛ بما يضيف إلى الطرائق التعليمية للنص الأدبي.

رابعا/الفونولوجيا في صلتها بتعليمية النص الأدبي:

تتجسّد العلاقة بين الفونولوجيا وتعليمية النص الأدبي في الجزء العملي من البحث، ما يجعلنا نؤسّس لمساحة نظرية خاصّة في ختام هذا الفصل، فتكون بدورها بمثابة محطة بداية، تمهّد للقادم التطبيقي في هذا العمل العلمي.

ومن ثمّ؛ يعطي هذا العنصر الشرعية لتكليف الموضوع العام؛ في إطار إشكاليته المطروحة التي تتمحور حول استنطاق البنية الفونولوجية لنصوص الأدب في تعليمية اللغة العربية للمتوسّط، وبيان دورها في تدوّق النص؛ عن طريق الربط بين الجانب الفونيتيكي، وبين خصائص الصوت الواحد في تناغمها فونولوجيا مع دلالة النص الموجه لفئة التلاميذ في ذلك الطور على اختلاف سنواته.

وذلك؛ كون الفونولوجيا لا تستوي إلا بالمعطيات الخام للفونتيك ، وما يزيد الأمر شرعية هو طبيعة النص الأدبي ؛ كونه يمثل نصًا لغويًا قبل كل شيء؛ فهو إذن محفوف بمستويات اللسان عموماً التي ينهض بها أي نصّ مهما كانت طبيعته.

فلا مقارنة دلالية للنص الأدبي دون مستويات بنائه؛ فإنّما يُدرّس هذا النصّ للتلاميذ في المتوسط أو الثانوي لتبليغ المعاني ، وتحصيل الذوق الجمالي الذي يعكسه اتساق الأصوات، الذي يتحقّق من حسن انتقاء الكلمات.

فلو أخذنا مثلاً لا حصراً قالب الشعر كنظم دقيق يأسر الأذواق؛ فإنّ المستوى الصوتي فيه " من أهم المستويات التي ينهض عليها البناء الشعري، إذ يشكل مدخلاً أساساً لفهم آليات اشتغال النص وتوجيه دلالاته"¹.

وعليه استثمار المعطى الفونولوجي في تعليمية النص الأدبي ليس ترفاً فكرياً؛ بل يقَدّم مزيّة كبيرة في فهمه، وحسن تدريسه ميدانياً ؛ فتتجاوز الدراسات في هذا المجال حدود النشر، وتخرج من دائرة المكتوب في البحوث إلى التطبيق الفعلي تعليمياً.

وهو ما نصبو إلى تأكيده من خلال عيّنة من نصوص التعليم المتوسط، نرتكن إلى دراستها بهذا المنطق، فيضع هذا البحث يده على ضرورة استثمار المعطيات اللسانية في التدريس خارج أسوار الجامعة .

خلاصة الفصل:

كان هذا الفصل بمثابة عصارة المفاهيم الأساسية التي تحدّد الإطار العلمي للموضوع، بدءاً بمفهوم النص؛ كون التطبيق عماده مدوّنة نصّية، مروراً بالأدب؛ باعتبار نوع النص الذي وقع عليه الاختيار من بين ضروب النصوص؛ ثمّ وصولاً إلى الفضاء الذي يحتوي الممارسة العملية ألا وهو المجال التعليمي.

¹ هيثم بن عمار، المستوى الصوتي وأثره في توجيه الدلالة -قصيدة الاستنجد في الأندلس أنموذجاً، مجلّة المؤلّ، المدرسة العليا للأساتذة بمستغانم، مج2، ع2، ديسمبر 2025، ص74.

واستقرّ أمر التنظير على شكل النص، وما يميّزه عن الخطاب نظيره في البحوث اللسانية والنقدية، كما استقرّ أيضا على قيمة الأدب لأية لغة، وهو ما يعطي شرعية الاهتمام الكبير الذي ينبغي أن يوجّه إلى تدريسه؛ ضمن مقرّرات التعليم في المتوسط، وغيره من الأطوار الأخرى.

و من ثوابت هذا الفصل التسييج النظري لما يحيط بدرس النص الأدبي، والذي ينصّ على ضرورة توظيف الجانب اللساني عموما، واستثماره في تدريس الأدب في غير الجامعة، منها الجانب الفونولوجي الذي يدلي بدلوه في فهم النص وتوجيهه .

فبعد هذه الرؤوس النظرية الأساسية، يتسنى لنا خوض التطبيق، الذي نحاول من خلاله فكّ شفرة الإشكالية الرئيسة للموضوع ككلّ عمليا؛ في ضوء نماذج مختارة من التعليم المتوسط في مختلف السنوات، وهو ما نروم إنجازه في الفصل الموالي.

الفصل الثاني

الأثر الفونولوجي في فهم النص الأدبي المتوسطي _ نماذج
من الأولى متوسط _

توطئة:

ينهض هذا الفصل على الجانب التطبيقي الذي يجسّد التقاطع العلمي عمليا بين تعليمية النص الأدبي، والجانب الصوتي للسانيات ؛ وذلك في ضوء ما يؤطر البحث من التعليم المتوسط ، وتحديدًا النصوص الأدبية لكتاب السنة الأولى من الطور النموذج.

ومن ثمّ الكشف عن البنية الفونولوجية للنصوص ، وأثرها في توجيه المعنى الأدبي، بما يتوافق ومستوى التلميذ؛ في تحصيل الدلالات الأدبية والذوقية المراد تبليغها، ليتم بعدها الإقرار بضرورة تدعيم تعليمية الدروس المتوسطية بمخرجات اللسانيات ، وإضافتها إلى تطوير الطرائق التعليمية.

أوّلا/ التعريف بالطور المتوسط:

يستلزم الأمر قبل الخوض في غمار التطبيق أن نضع الدارسين إزاء تحديد ماهية المرحلة التعليمية المتوسطة؛ كونها مرحلة انتقالية مهمّة في مسار التعليم ، والتي تنقل التلميذ من مرحلة الابتدائي إلى مرحلة تعليمية استكشافية جديدة.

فالمتوسط هي " مرحلة تعليمية تقع بين مرحلة التعليم الابتدائي ومرحلة التعليم الثانوي، ومدتها أربع سنوات؛ بعد أن كانت ثلاث سنوات، يلتحق بها جل التلاميذ الذين أنخوا المرحلة الابتدائية والتي مدتها خمس سنوات بدلا من ست سنوات"¹.

والأكيد أنّ هذه المرحلة الوسطى ، تخضع للتنظيم الذي تستقر وراءه عدّة أهداف ، تتناسق مع متطلبات المرحلة؛ ضمن فضائها التعليمي المؤسّساتي الذي يحتضنها ، ووراء جدرانها تطبيقاً للمناهج والطرائق التعليمية.

¹ بومعروف نسيم، أحمد سعيدي، انعكاسات الإصلاح التربوي في الجزائر على التحصيل الدراسي للتلاميذ في مرحلة التعليم المتوسط- دراسة ميدانية بإكمامي يوسف العمودي، بمدينة بسكرة، مجلّة دفاتر المخبر ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، مج7، ع1، 2012، ص310.

الفصل الثاني: الأثر الفونولوجي في فهم النص الأدبي المتوسطي - نماذج من الأولى متوسط

فهذا التعليم الحضوري لزوما من قبل المتعلّم، يتمّ في مؤسّسة التعليم المتوسط (المتوسطة)، التي عليها إعداد مشروعها (مشروع المؤسّسة) الذي يحدّد النشاطات البيداغوجية للمؤسّسة، وكيفيات تنفيذها وتقويمها¹.

ومن جانب آخر، تحليل الوثائق الرسمية على الهدف الذي تستهدفه هذه المرحلة التعليمية؛ بناء على تقسيمها الفرعي، الذي يشمل العديد من الأطوار الجزئية، ولكلّ طور وصفه وغايته، بما يجسّده من سنة أو سنتين حسب التقدير.

فالطور الأوّل يُعرف بطور **التجانس والتكيف**، و تتمثله السنة الأولى؛ بوصفها السنة التي ترسّخ فيها المكتسبات، ويليه الطور الثاني ضمن السنتين الثانية والثالثة؛ إذ يطلق عليه طور **"الدعم والتعميق"**، والذي يُخصّص لتعزيز الكفاءة التعلّمية، ورفع المستويين الثقافي والعلمي، بينما الطور الثالث؛ فهو طور **"التعميق والتوجيه"** الذي يتطلّب مرافقة بيداغوجية، يحدث من خلالها تحضير التلاميذ وتوجيههم نحو شعب ما بعد التعليم الإلزامي².

ولا يفكّ المتعلّم رباطه بالتعليم الإلزامي إلّا بالنجاح في شهادة المتوسط، فهي وثيقة لزامية، تؤكّد نجاحه في اكتساب مواد المرحلة ومعارفها؛ ومن ثمّ تقوده إلى الطور الذي يلي، والذي يلبي حاجته العلمية إلى تشعب معيّن.

ثانيا/ كتاب اللغة العربية للأولى متوسط:

تحدّد قيمة هذا الكتاب من قيمة الكتاب التعليمي ككلّ، فهو جزء من عام، يُعتمد كوسيلة بيداغوجية، تنقل المعارف، والتي تكتسي طابعا لغويا، بالاستناد إلى نوع المادّة؛ أي اللغة العربية؛ بوصفها مادّة أساسية للمتعلّمين.

¹ اللجنة الوطنية للمناهج، المرجعية العامة للمناهج، معدّلة وفق القانون التوجيهي للتربية رقم 08-04 المؤرّخ في 23 يناير 2008، ص36.

² ينظر: المرجع نفسه، ص.ن.

الفصل الثاني: الأثر الفونولوجي في فهم النص الأدبي المتوسطي - نماذج من الأولى متوسط

والذي لا يخرج عن السمات الجوهرية التي تحملها كتب المدارس، ما يجعله ينضوي تحت تعريف الكتاب المدرسي عموماً، الذي يراد به " ذلك الكتاب الذي يشتمل على مجموعة من المعلومات الأساسية التي تتوفر على تحقيق أهداف تربوية محدّدة سلفاً (...) وتقدّم هذه المعلومات في شكل علمي منظم لتدريس مادة معينة في مقرر دراسي معين ولفترة زمنية محدّدة"¹.

فكتاب اللغة العربية هو لسان مجتمع المتعلّم، ليوفّر من الرصيد المعلوماتي ما يؤدّي إلى اكتساب هذا اللسان؛ في ضوء ما يُرسم من أهداف تربوية، يسعى المعلّم إلى تجسيدها في شكلٍ مخطّط له، يلتزم فيه بالعامل الزمني.

هذا، ويستند في شكله إلى قواعد التأليف؛ من حضورٍ لمتطلّبات التعريف بهذه الأداة البيداغوجية؛ إذ يتضمّن العنوان، والصورة، فضلاً عن المؤلّفين، ودار النشر، والطبعة، والسنة، وهو ما يتماشى مع سنن تأليف الكتب عموماً.

أمّا على صعيد الهيكل العام؛ فإنّه يتّخذ من الوحدات نظاماً لبنائه؛ بالنظر إلى الأهمية التي يحقّقها هذا النظام الشكلي التعليمي في ضبط المعرفة التعلّمية، و ترتيبها، وتقديمها منظمّة بأهدافها إلى المتعلّم الذي يدرك ما يتعلّمه.

فالتدريس بتبني هذه الطريقة "يقضي تنظيم مفردات المادّة على شكل أقسام كبيرة مترابطة مع بعضها يمثل كل قسم وحدة ذات كيان وأهداف خاصة غير أنّها مرتبطة بالوحدات الأخرى"².

وبناء على هذه الفكرة، نعرض للقارئ مجموع الوحدات التي يحتويها الكتاب؛ فالكتاب العربي للأولى متوسط الذي يحفظ كيان العربية، ويثبت وجوده لدى أبنائها، يحتوي في جملته على ثمان وحدات، تتمثل في الحياة العائلية، حبّ الوطن، عظماء الإنسانية، الأخلاق والمجتمع، العلم والاستكشافات العلمية، الأعياد، الطبيعة، الصحّة والرياضة.

¹ ابتسام صاحب الزويني، ضياء العرنوسي، حيدر حاتم، المناهج وتحليل الكتب، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2013، ص102.

² محسن علي عطية، المناهج الحديثة وطرائق التدريس، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2013، ص328.

الفصل الثاني: الأثر الفونولوجي في فهم النص الأدبي المتوسطي - نماذج من الأولى متوسط

فلكلّ مقطع منها موضوعه الذي ينقل قيمة معيّنة، ويشكّل أساساً لما ينضوي تحته من طبيعة النشاط المراد تعليمه للتلميذ؛ إذ يتمّ النهج وفق سيرورة موحّدة على مدار الأسابيع التعلّمية، مع اختلاف المضمون.

أمّا من ناحية المضمون والعمق؛ فإنّ الكتاب يرتبط بغاية الكبرى، التي تعبّر عنها مقدّمة المؤلّفين بقولهم: "أملنا كبير في أن يكون هذا الكتاب نعم السند لأبنائنا المتعلّمين؛ لأنّه ينطوي على نصوص متنوّعة ثريّة تمثّل قيمة مضافة إلى المتن الأدبي العربي عامّة والجزائري خاصّة، وقادرة على الارتقاء بمستوى تلاميذ السنة الأولى من التعليم المتوسط وخادمة للغة العربية ومواردها الفكرية والمعرفية والمنهجية والذوقية والجمالية"¹.

فالغاية إذن غايتان؛ إحداهما العربية الأم، بما تقتضيه من عناية خاصّة بها؛ من أجل ضمان سلاسة تعليمها، التي تشمل جميع المواد المشار إليها، حتى نضمن نجاح اكتسابها؛ في ضوء المادة النصّوصية الغنيّة المسؤولة عن ذلك، وثانيهما المتعلّم؛ بوصفه المحور الأساس للتعلّم.

وختام الحديث عن الشكل والمضمون، لابدّ له من ربط الكتاب بما يحتويه توجيهها، فهو يؤدّي وظيفته بهذا الشكل العلمي؛ في إطار المقاربة بالكفاءات التي تفرض عليه نسقاً خاصّاً، تجعل منه كتاباً متبايناً عن كتب التعليم القبلي.

فهي المقاربة التي تسيطر بمعطياتها على التعليم؛ في ظلّ دينامية الإصلاحات والتطويرات اللازمة؛ من أجل تحقيق النجاعة التعلّمية، بما يتوافق ومتطلّبات التغيير التي تناسب العصر التعليمي الحالي.

¹محفوظ كحوال، محمد بومشيط، كتابي في اللغة العربية - السنة الأولى من التعليم المتوسط، موفم للنشر، الجزائر، ط2، 2017، (التقديم).

الفصل الثاني: الأثر الفونولوجي في فهم النص الأدبي المتوسطي - نماذج من الأولى متوسط

فالتعلّم بالكفاءات "يقدم إسهامات كبيرة في ترقية العملية التربوية من حيث الأداء والمردود عن طريق جعل المعارف النظرية روافد مادية تساعد المتعلّم بفاعلية في حياته المدرسية والعائلية، وتجعله مواطنا صالحا يستطيع توظيف مكتسباته من المعارف والمهارات والقيم المتنوعة في مختلف مواقف الحياة بكفاءة ومرونة"¹.

فيتمّ التأسيس "لتصوّر نفعي في التعامل مع المعرفة باعتبارها موردا مساعدا على التعلّم وليست كلّ التعلّم، لأنّ المتوقّع من الدّرس الناجح ليس أن يجلب كمّا هائلا من المعرفة ويوفّره للمتعلّم، بل أن يصنع عقول المتعلّمين ويشحذ تفكيرهم على ضفاف المعرفة"².

ملحوظة:

اكتفينا هنا بالإشارة الطفيفة لمفهوم المقاربة بالكفاءات؛ لأنّها لا تمثّل غاية في ذاتها ضمن هذا البحث، بل هي في سبيل توصيف الكتاب النموذج؛ علما أنّنا سنقف عند بعض مؤشراتها في سياق التطبيق العملي.

وبعد هذه الإطلالة على الشكل والمضمون، ووضّع الكتاب في تصنيفه البيداغوجي؛ فإنّنا نبغ الهدف في الدراسة ألا وهو النص الأدبي؛ إذ جاء الكتاب غنيّا بالنصوص الأدبية، ما يقودنا نحو تطبيق الفكرة الجوهرية للبحث بسلاسة وأريحية.

وذلك في ظلّ انفتاح العمل على سعة الاختيار والنأي عن التضييق، ما يفسح لنا المجال لاستجلاء الأثر الفونولوجي، ودوره في تحقيق تذوّق النص الأدبي وفهم معانيه؛ وكلّما زادت مساحة النماذج، زاد معها تقوية الطرح الفونولوجي، في علاقته بتعليمية نصّ الأدب الذي يحمله كل مقطع.

¹ محمد بودريالة، المقاربة بالكفاءات المفهوم، الخصائص والمستويات، مجلة البحوث والدراسات، جامعة الوادي، ع6، جوان، 2008، ص252.

² رياض الجوّادي، المقاربات بالكفايات مدخل الكفايات: مفاهيمه ومقتضياته التعليمية والتقويمية، دار التحديد للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، (د.م)، ط1، 2018، ص91.

ثالثا/ التحليل الفونولوجي لنصوص مختارة:

يشكّل هذا العنصر المهمّ عصب البحث في تجسيد رؤيته المزدوجة، التي تجمع بين الطرح اللساني الفونولوجي ونظيره التعليمي ؛ في ضوء خيط الربط الذي يربط بين الطرفين ألا وهو النص الأدبي المتوسطي.

ومن ثمّ ؛ سنحاول أن نتمثّل هذه الصلة العلمية؛ بتطبيق عدّة معطيات فونولوجية ، نوزّعها على نصوص من مختلف المقاطع ؛ فنجرّب من خلالها افتراض البحث الذي يفترض دور هذه المعطيات في تحقيق الفهم المناسب للنص، وتبليغ دلالاتها.

ومن ثمّ؛ ما يعزّز الضرورة القصوى لاستثمار معطيات اللسانيات، وهو ما قد يحتاج تحيين الطرائق التعليمية إلى إدراجه؛ من خلال الاستعانة بمخرجات المعرفة الجامعية؛، في نطاقها اللغوي ههنا؛ لاسيّما وأنّ الصوت هو قاعدة اللغة.

1/ النص التطبيقي الأول:

أول مفاتيح التطبيق، نستهدف من خلاله نصّ "رسالة إلى ولدي" الذي هو عبارة نصّ شعري لأحمد سحنون؛ إذ ورد هذا النص في المقطع الأول الموسوم بالحياة العائلية؛ إذ يعود أصل نشره إلى جريدة البصائر سنة 1948.

1-1/ التعريف بالكاتب¹:

ولد أحمد سحنون سنة 1907 في ليانة قرب مدينة بسكرة؛ إذ تعدّدت روافد تكوينه، وتلقّيه العلم أمثال المقرّبين منه كوالده، فضلا عن الشيوخ، ويُشهد له بعصاميته التي قادته نحو الاحتكاك بالعلامة عبد الرحمن ابن باديس، الذي له الفضل في نصحه وتوجيهه.

¹ ينظر تعريفه: محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنيّة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 2006، ص677-678.

الفصل الثاني: الأثر الفونولوجي في فهم النص الأدبي المتوسطي - نماذج من الأولى متوسط

ومن المحطات المهمّة في حياته أن نزل بالعاصمة، فكان أن أدار فيها إحدى المدارس، كما تصدّى إلى جانب التعليم للمشاركة في جريدة البصائر، التي كانت مساحته في خطّ الشعر، والمقالات الإصلاحية الدينية.

وفي ظلّ الأوضاع الاستعمارية، تعرّض للاعتقال، ليخرج بعدها، ويواصل مساره في تبليغ الرسالة إلى الأجيال بشكل مخلص، ويسجّل له من الآثار التي حفظها التاريخ الأدبي (ديوان أحمد سحنون)، كما له كتاب "دراسات وتوجيهات إسلامية" الصادر 1981.

1-2/ سياق النص وأهمّيته:

يشغل هذا النص الشعري أدبيا في سياق اجتماعي، يجسّد العلاقة العاطفية، واللحمة الشعرية التي تربط بين الأب وأبنائه، فهو في تصنيفه نصّ بديع في إحساسه، قبل أن يكون بديعا في جماليته التي تعكسها لغته.

وفي عموم الحال "تمتاز العلاقات الأسرية في المجتمع الجزائري بالبساطة، لأنّ العلاقة بين الوالدين والأبناء تتسم بطابع الاحترام المتبادل والتقدير، والتي تساهم في تطبيق وتدعيم القيم العائلية؛ لكن هذه القيم تغيرت بفعل الحداثة التكنولوجية الجديدة، التي تعدّ سلاحا ذو حدين فهي تزيد من تقارب الأشخاص وترفع من درجة تفاعلهم وتنشئ علاقات افتراضية جديدة، ومن جهة أخرى تشكل خطرا حقيقيا على العلاقات الاجتماعية الأسرية حيث تؤدي إلى ميلاد مجتمع متنافر فكريا وتربويا"¹.

فهذا التحوّل التغييري "يحمل عوامل القطيعة مع التقاليد الثقافية، مما ينتج عنه تغير في منظومة القيم الاجتماعية للأفراد، ويزيد الرغبة والميل للوحدة والعزلة، ويقلل من فرص التفاعل الواقعي والحوار الاجتماعي داخل الأسرة"². إذ هي علّة الراهن الاجتماعي في هذا العصر التكنولوجي الرهيب.

¹ مبارك بالنور، العلاقات الأسرية في المجتمع الجزائري بين الأصول التقليدية والحداثة التكنولوجية، مجلة نوميروس الأكاديمية، المركز الجامعي مغنية، مج3، ع2، 2022، ص59.

² المرجع نفسه، ص.ن.

الفصل الثاني: الأثر الفونولوجي في فهم النص الأدبي المتوسطي - نماذج من الأولى متوسط

فيأتي هذا النصّ؛ ليعيد هذا التقارب، ويذيب جليد البعد؛ من منطلق إدراك التلميذ مدى محبة الآباء لأبنائهم، والتي يجسّدونها أكثر في الحالات الاجتماعية المختلفة؛ على رأسها المرض الذي يثقل كاهل الأب، وهو ينظر إلى ابنه، فيشكو جسده قبل جسد الابن.

فالأبيات بين يدينا، و أمام ناظرنا، تغرس قيمة التقارب الاجتماعي الأسري الحميم، ولا شك أنّ الآباء يتشوّقون هذا التقارب كردّ فعل، يقابل حبّهم واهتمامهم، فينتظرون من أبنائهم الاهتمام، وما يعكسه من مواقف الودّ وتعبيراته.

فأحمد سحنون، يخاطب وجدان أبنائنا خطابا بلاغيا، يستنهض به القلوب، لتنفض غبار الجفاء غير المقصود، فهو علّة أحدثتها التكنولوجيا التي استقطبت الأبناء، وأبعدتهم عن كنه الإحساس العائلي الدافئ الذي يخلقه الوالدين.

ولا نحمل هذا الوضع على التعميم؛ ذلك أنّه من الأسر من يترجم العكس؛ حتى في ظلّ العامل التكنولوجي، ولكن ما يصوّره الواقع، يبيّن لنا المشكلة على أنّها ذات تفشّي أوسع، ينخر بإحساس العائلة، منها الأب الذي يخصّه النص ببيان مشاعره الدافئة تجاه أبنائه.

وبعد ربط النصّ بسياقه، وبيان أهمّيته؛ في ضوء إحدى المشكلات التي تؤرّق المجتمع، فإنّنا نربط هذه المعطيات بلبّ الموضوع، وجوهر البحث خاصّتنا، لنطرح سؤال المعرفة اللسانية التعليمية: هل للأصوات دورها في نقل الإحساس الذي يحمله صاحب النص وتكريس الاتصال الاجتماعي الأسري؟ .

لنخوض في الإجابة عن هذا الطرح؛ عبر مطيئة الصوامت التي نتكأ عليها في هذا النصّ، لتجسّد التقاطع الصوتي اللساني مع تعليمية النص الأدبي.

فالصوامت Consonants لها دورها الدلالي، الذي هو صنو الدور العام للصوت، تحت مسمّى الدلالة الصوتية، التي تعني الدلالة المستمدّة من طبيعة بعض الأصوات¹. فتشتغل هذه الدلالة في إطار تركيبي فونولوجي داخل اللغة.

¹ ينظر: مجدي وهبة، كامل المهندس معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984، ص169.

1-3 دور الصوامت في التوجيه الدلالي للنص:

تمارس الصوامت في النص النموذج دورها في إجلاء معانيه القيمية الاجتماعية ؛ في صورة الفاء الذي يجذب تكرارها القارئ ؛ فأغلب الأبيات لا تخلو منها عدا الأخير وما قبله، وهو ما يجعل لهذا التكرار أثره الدلالي ، من خلال ما يحمله الصامت من خصائص صوتية.

فالفاء صوت شفوي أسناني رخو، مهموس ومرقق ، يصاحب النطق به اتصال الشفة السفلى بالأسنان العليا¹، ما يجعل لهذا التخريج الصوتي نظيره من المعنى ؛ فيما يظهره النص من التحام شعوري بين الشاعر وابنه .

فقدوة النص شعوريا ، تجدد في هذا الفونيم الصامتي ما يعززها، وهو ما يبرر على سبيل الاستنتاج العلمي من المقاربة والاستئناس الصوتي الأدبي الإكثار من توظيف هذا الصامت التي وجد فيه أحمد سحنون ضالته النفسية.

لنستحضر من الأبيات قوله²:

إن غاض نبع الوفاء*** أو غار صفو الإخاء

أو أجذب الدهر حظي*** أو اكفهرت سمائي

فأنت ينبوع صفوي*** وأنت رمز هنائي

فلنلاحظ تكرار الفاء في هذه الأبيات أربع (04) مرّات؛ وهو ما يناسب سياقها الذي يحيل على المصائب التي قد يواجهها الشاعر، ففي قوّة هذه المصائب ما يعزز ارتباط الشاعر بابنه، فهو الدواء النفسي الذي يعالجها، فتصفو نفسه ببنّيه الذي يرى فيه مصدر الهناء.

وليست الفاء وحدها منبع الدلالة في هذا النص الأدبي ، بل يرافقها من الأصوات الأخرى ما تمتلك من الشحنة الدلالية أيضا؛ على غرار الهمزة التي تستأثر بحرف الروي .

¹ ينظر: رمضان عبد التّوّاب ، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1997، ص43.

² محفوظ كحوال، محمد بومشاط، كتابي في اللغة العربية - السنة الأولى من التعليم المتوسط، ص26.

الفصل الثاني: الأثر الفونولوجي في فهم النص الأدبي المتوسطي - نماذج من الأولى متوسط

و الهمة الحلقية صوت "شديد مهموس مرقق" ، ينطق بإغلاق الأوتار الصوتية إغلاقاً تاماً ، يمنع مرور الهواء ، فيحتبس خلفهما ثم تفتح فجأة ، فينطلق الهواء متفجراً¹. ليتراءى من هذه الخصائص ما يقابل الشعور النصي ؛ فيكون هذا الصامت معبراً عن إحساس الشاعر ، من منطلق الوصف النطقي له الذي يحيل على الانفجار .

والأصوات الانفجارية كما يرد تعريفها ، تتكوّن بأن " يحبس مجرى الهواء الخارج من الرئتين حبساً تاماً في موضع من المواضع ، وينتج عن هذه الحبس ، أو الوقف ، أن يضغط الهواء ، ثم يطلق سراح المجرى الهوائي فجأة ، فيندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً"²

فيسلك الصامت هنا نهجه في رحاب الدلالة العامة للنص ؛ وكأنّ بهذا الانفجار ، يقابل الانفجار الشعوري للشاعر الذي يكّنه لابنه ، وهو انفجار غير محدود ، وإن طالت الأبيات أكثر يطول معها ، لاسيّما وأنّ الهمة تمثّل الروي كما أسلفنا .

وهو ما يؤكّد أنّ كل بيت ينفجر فيه بإحساسه الذي يمكن توزيعه على الأبيات في ثلاث تيمات أساسية ؛ أولها انفجار الشعور الذي يعبرّ فيه في الأبيات الثلاثة الأولى عن إحساسه بالاطمئنان ، والصفو والهناء .

وهو ما جادت به قريحة أحمد سحنون بأسلوب مميّز ، تضمّن استعارات بلاغية محبوكة بدقّة جمالية ، وصنيع مجازي متقن ، تعكسه العبارات (غاض نبع الوفاء ، غار صفو الإخاء ، أجذب الظهر حظي ، اكفهرت سمائي) ؛ فاشتغل الجانب الفونولوجي بمعيرة التعبير البلاغي ، وهو ما أعطى للصوت شحنة دلالية بتأطير استعاري بلاغي يعضده .

أما انفجار الشعور الثاني ، فهو على ارتباط بالأبيات من 4 إلى 6 الذي تولّد تيمة الإحساس المشترك الذي يجعل الشاعر الأب ، يتقاسم مع ابنه ما يصيبه ، فينزع من راحته البكاء ، كما ينزع اطمئنانه المرض ، وتبعث فيه قلة النوم إحساس القلق .

¹ رمضان عبد التّوّاب ، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، ص 56 .

² محمود السعران ، علم اللغة مقدّمة للقارئ العربي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، (د.ط) ، (د.ت) ، ص 153 .

الفصل الثاني: الأثر الفونولوجي في فهم النص الأدبي المتوسطي - نماذج من الأولى متوسط

ويستمرّ توزيع الشعور وانفجاره عبر الروي في الأبيات الثلاثة الأخيرة التي يستقطب فيها رويّ الهمزة معنى التميّ، فتدلي الهمزة بانفجارها؛ ما يصاحب انفجار إحساس الشاعر الذي يعبر عن هوى فؤاده لابنه، وليس هذا فحسب؛ بل يتميّ رؤيته صالحا من ذوي الهمّة والعزيمة، ومثالا يقتدى به في التجنّد للوطن.

وبهذا تكون " الهمزة" بخصائصها الصوتية دقّاقة للمعنى الثانوي الذي يخدم المعنى الأصلي للنصّ على سبيل المقاربة الدلالية التأويلية، التي تعطيه من الأدوات الصوتية اللسانية، ما يمكن به تبليغ معانيه للتلميذ المتعلّم.

ونضيف إلى جانب الهمزة ما يلفت انتباهنا من صامت التاء، الذي يمتلك سلطته الفونولوجية الدلالية في النصّ ؛ انطلاقا من الخصائص النطقية التي تميّزه ؛ بصفته صوتا أسنانيا لثويا؛ لاسيما وأنّه يشغل في أبيات تناسبه.

فالتاء وردت متناسقة، وفي تجانس مع الثلاثية الوسطى ضمن هذا المنظوم الشعوري الرقيق، ما يجعل من معطياتها التي سنشير إليها، تتناسب مع الموقف التعبيري الذي فيه الشاعر أحمد سحنون؛ وذلك في قوله:¹

إن تبك أحسّست نارا *** تشبّ في أحشائي

وإن تشكّيت داء *** فإنّ شكواك دائي

وإن تولّاك سهد *** أبّت بلا إغفاء

فالصامت التائي " شديد مهموس، لا فرق بينه وبين الدال سوى أنّ التاء مهموسة والدال نظيرها المجهور، ففي تكوّن التاء لا يتحرّك الوتران الصوتيان، بل يتّخذ الهواء مجراه في الحلق والفم حتّى ينحبس بالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا فإذا انفصلا فجائيا سمع ذلك الصوت الانفجاري"². تلك كيفية نطقه فسيولوجيا.

1 محفوظ كحوال، محمد بومشاط، كتابي في اللغة العربية - السنة الأولى من التعليم المتوسط، ص 26.

² إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1975، ص 61.

الفصل الثاني: الأثر الفونولوجي في فهم النص الأدبي المتوسطي - نماذج من الأولى متوسط

فالذي يميّز نطق الفونيم من ثبات الوترين، يتلاقح دلاليا مع الأبيات التي يرد فيها الصامت؛ ذلك أنّ هذا الثبات من شأنه أن يتقارب مع ما يفهم ضمّنيا من قول الشاعر الذي تلازمه الأحوال المذكورة، مادام علّتها في ابنه.

فنفهم من الأبيات أنّ الأب يظلّ مضطربا في إحساسه وثابتا على ذا الحال، حتى تزول معوقات راحة ابنه الذي يهواه؛ فإنه صرّح بالحال فقط، ولكنّ السياق اللغوي التداولي، يحيل على الاستلزام التخاطبي الذي يخفي وراءه دلالة ضمنية، تفيد التلازم غير المنقطع الا بانقطاع الداء الذي يفهم من الكلام، والذي يستقرّ في المنطق الشعوري للوالدين، فمتى لازمت العلّة النفسية أبناءهم لازمتهم، ومتى زالت عنهم تزول عنهم، ولا شكّ في ذلك.

وما يؤكّد هذا التلازم هو أنّ التاء وردت للخطاب والدلالة على وجود المخاطب الابن، لتقترن بالقرينة النحوية إنّ التأكيدية، التي تضيفي بمعناها التأكيدية على هذا الربط التلازمي الثابت إلا بانتفاء المنزوع النفس بسببه.

ومن ثمّ؛ فإنّ التاء، تنهض صوتيا في مستواها الفونولوجي العميق الذي يحرك دلالة النص الشعري النموذج، ويعضدها في هذا الأمر الوظيفي الجانب النحوي على سبيل الائتلاف الدلالي الذي يجمعها.

ونضيف إلى هذا النص نصّا آخرًا نموذجًا، لنختبر فيه صوامت أخرى؛ من حيث قدرتها الصوتية الدلالية على تبليغ المعنى تأويليا؛ إذ يتعلّق بنصّ "فداء الجزائر"، والذي نخرج فيه من عباء الشعر لنلبس عباءة السرد*.

والذي يصنّف ضمن المقطع الثاني في تيمّته عن "حبّ الوطن"، فيحقّق المراد بناءً على فحواه الذي يرتبط بالسرد، والذي يشكّل مساحة ثرية، نحاول من خلالها استثمار ما استثمرناه في الشعر قبله؛ أي الجانب الفونولوجي لهذا النصّ.

* ما يلاحظ في الدراسات الأكاديمية التي ينجزها الباحثون أنّ التطبيق الصوتي الفونولوجي، يكثر اشتغاله على القرآن الكريم والشعر، بينما قد نجد له من المخرجات الدلالية ما يفيد السرد أيضا.

2/ النص التطبيقي الثاني:

يشتغل النص المشار إليه في سياقه المنوط بالتّضحية، وبذل الغالي والنفيس حبًا في الأرض والتراب، فتتصدّى اللغة بزخمها الصوتي في تبليغ هذه القيم لأبنائنا غرسا فيهم حبّ الوطن ، فلنا من الأصوات الغالبة التي تمثّل بخصائصها النطقية ايجاءً دلاليًا، يمكن إسقاطه كدليل على إحدى الأفكار المتشظية في ثنايا هذا البناء السردي.

ونخصّ بالتقارب الصوتي الدلالي الأدبي صوت "الراء"، الذي يتكوّن كما يقول السعران؛ بأن "تتابع طرقات طرف اللسان على اللثة تتابعا سريعا، ومن هنا كانت تسمية هذا الصوت بالمكرر"¹. ففي هذا الوصف المبين عن كيفية النطق بهذا الصامت، ما يقترب من تعزيز تتابع الأحداث، ضمن جوهر التيمة الأساس؛ أي العملية التفجيرية.

تقول زهور " كان ينتظرنني في منعطف الشارع، اقتربنا آنذاك من مركز الشرطة، فقال مخلوف:

افتحي العلبه يا زهور ،ناوليني قبلة ماختبئي هنا وراء الجدار،وبعد دقيقة واحدة دوى انفجار

رهيب هزّ أركان المدينة، وقال مخلوف: "ناوليني قبلة ثانية يا زهور ". كان ينوي أن يرمي القبلة

على المركز نفسه، غير أنّه أبصر دورية عسكرية مقبلة من شارع مجاور فقلت في نفسي لعلّه لا

يجرؤ على الاندفاع، لكنّه اندفع نحوها بشجاعة حتّى اقترب منها ورمى القبلة"².

فالفونيم رغم عدم تكراره كثيرا في هذا المقطع السردى إلا أنّه يلقي بثقله المركزي على اسم " زهور"؛ كونها الشريك الذي يساهم في تنفيذ العملية؛ عن طريق توضيها، و إتباع المراحل اللازمة لنجاحها، و هو ما تحقّق في نهاية المطاف.

وعلى ما يتراءى أنّ النطق بالاسم بما فيه من " راء " نلمس في تكرارها الاضطراب؛ بالنظر إلى معنى التكرير الذي يحيل على ارتعاد اللسان لحظة النطق بالحرف³؛ فإنّ هذا يتواشج مع اضطراب مخلوف في موقفه البطولي، ليس اضطراب جبن، بل اضطراب جرأة.

¹ محمود السعران، علم اللغة مقدّمة للقارئ العربي، ص171.

² محفوظ كحوال، محمد بومشاط، كتابي في اللغة العربية - السنة الأولى من التعليم المتوسط، ص40.

³ ينظر: حسن مزبان، علم الأصوات بين القدماء والمحدثين، ص28.

الفصل الثاني: الأثر الفونولوجي في فهم النص الأدبي المتوسطي - نماذج من الأولى متوسط

فإلراء هنا نفعية في ميزتها الصوتية التي تتجانس مع موقف التضحية والشجاعة، الذي يعكسه النص؛ من أجل الوطن الذي دفع البطل حياته في سبيله حبًا وكرامةً، فكان للسرد أن فسح التأويل على شاكلة الشعر للتلاقح الدلالي الصوتي الأدبي.

وبالنظر في مقطع آخر جاء فيه: "ووجدت نفسي أمام المظليين... ورشاشاتهم الصغيرة على أكتافهم ووجوههم القذرة، وقد انتظرت الكلمة الرهيبة التي تأمرني بالوقوف"¹؛ إذ يتبين اجتماع أغلب حروف الاستفهام، وهو ما يكرّس لتخريج دلاليّ آخر.

فهو هذه المرة، يستند إلى كتلة مجتمعة من الأصوات ضمن المقول السردية؛ والاستفهام كما هو معلوم "انحطاط اللسان عند خروج الحرف من الحنك إلى قاع الفم"²، فينتج عن هذا الانخفاض تناسق دلالي مع ما تصوّره البطلة زهور من انحطاط ودناءة المحتلّ.

فلهذه الأصوات وقعها في نقل المعنى من قبل الكاتب حنفي بن عيسى الذي أجاد انتقاء التعبير اللازم، فأبان هذا الحسن الانتقائي عن تناغم صوتي دلالي، في رحاب تعليمية النص الأدبي المتوسطي.

وعلى هذا الوقع، ننهي حوارنا مع الصوامت، لنعبر بالبحث وجانبه التطبيقي نحو الصوائت النظير التي بحاجة هي الأخرى إلى اختبار دلالي، نستمدّ طاقته ونستغلّها في إظهار مدى مناسبة هذه الفونيمات في إيصال المعنى للتلميذ.

3/ النص التطبيقي الثالث:

نراهن هنا على نصّ "جميلة بوحيرد"، لاستنطاق الشقّ الأوّل من الصوائت؛ أي الحركات الطويلة بدءًا بها للنظر في ما تحمله من مزايا دلالية صوتية، تخدم النص في تيمته الكبرى العامة، وما يروم صاحبه من معاني، تحمل قيمة لا بدّ أن يدركها المتعلّم.

¹ محفوظ كحوال، محمد بومشاط، كتابي في اللغة العربية - السنة الأولى من التعليم المتوسط، ص 40.

² حسن مزبان، علم الأصوات بين القدماء والمحدثين، ص 27.

3-1 التعريف بصاحب النص¹:

نظم هذه التحفة الشعرية التي تتغنى بالمناضلة الجزائري جميلة بوحيرد الشاعر السوري سليمان العيسى، واحد من أبرز أعلام الشعر العربي المعاصر، رجل حافظ للقرآن الكريم والمعلقات وديوان المتنبي وآلاف الأبيات من الشعر، لقي من الدعم من أبيه الشيخ محمد العيسى.

شهدت فترة تعلمه من المخططات السياسية التي أثّرت في تكوينه، قبل أن يلتحق بالوطن، ويشغل كمدرّس، فضلا عن دوره في التربية موجّها؛ إذ أفاد بخدماته، كما أفاد بتأليف الكتب، ويعرف عنه بأنه شاعر الطفولة والعروبة.

له كثير من المناصب والأعمال التي تكشف عن تفانيه وجهوده، وحصد عدّة جوائز، ليغادر تاركا هذا الأثر سنة 2013، ودفن بدمشق.

3-2 سياق النص وأهميته:

يدور النص في فحواه حول المناضلة البطلة ابنة الوطن الحبيب جميلة بوحيرد، التي تمثّل رمزا لحرائر الجزائر؛ بنضالها، وبصمتها في صناعة التاريخ الجزائري المشرف؛ إذ يضاء النص الشعري بالمواصفات المشرقة لهذه المرأة المجاهدة.

وهو ما يجعل تأثيره العميق في نفوس أبنائنا من متلمذي اللغة العربية في الأولى متوسط؛ إذ يغرس فيهم قيما كثيرة، تتجلى في حبّ الوطن، والافتخار بتاريخه، واحترام شخصياته التي ساهمت ولا تزال في الحفاظ على مكانته العالية.

وهي المكانة، والمنزلة الرفيعة التي قدّرها الشعراء العرب، في صورة الشاعر العيسى الذي رسم معالمها في وصفه للبطلة جميلة بوحيرد، لنستمتع بهذا الوصف؛ في علاقته بالجانب العلمي الذي نشغل عليه تطبيقيا، ضمن هذا العمل.

¹ ينظر ترجمته بالتفصيل في موقع مجمع اللغة العربية التالي: <https://2u.pw/ItkUuj>، يوم الدخول: 2026/05/03، الساعة 08:49 صباحا.

3-3 دور الصوائت الطويلة في تفعيل الدلالة:

يقوم النص الشعري للعيسى على بناء صوتي؛ عن طريق الأصوات الرئيسة التي تدخل في تشكيل مفرداته، التي تصنع بدورها التركيب الحامل لدلالة البيت الواحد منه. ولعلّ أبرز ما يلفت الانتباه منها هو الصوائت بنوعها الطويل.

فلا يخلو بيت منها، وهو ما يخفي وراء هذا الاستعمال الكثيف "دلالة الصبر"، التي ترتبط بطول نفس البطلة في نضالها ضدّ المستعمر، الذي قام بأسرها وتعذيبها، فكانت له بالمرصاد؛ بمواصفات حواسها وأعضائها التي يوظفها الشاعر.

فكلّ عضو وحاسة، تنطق بنغمة نضالية، تؤطّرها أصوات اللين الطويلة من ألف وواو وياء، تتتابع في الأبيات، مما يرسم صورة مشرّفة للحرّة بوحيّد، فهي لم تخضع، ولم تتنازل، بل آثرت الصمود، وما يحتاجه من صبر، ينسجم مع استعمال فونيمات الصوائت في القصيدة.

يقول الشاعر:¹

أين مني عينان ، خلفَ جدارِ السّ جنّ ، مكحولتانِ بالكبرياء !

وجبينّ ، وألفُ نجمة صبحٍ لألأت فوقَ جرحه الوضّاءِ

ففي البيتين إشعاع صوتي دلالي تقذف به الصوائت Vowels، ويدلّله أكثر صائت (الألف) المتكرّر بكثرة؛ لاسيّما دقّة وجوده في قرينة "الكبرياء" التي خصّ بها الشاعر العينين؛ كونهما الدلالة الأوضح في الإنسان؛ فإنّما يعرف المرء بانفعاله من عينيه.

فالانفعال؛ انفعال كبرياء، لازم جميلة بوحيّد في السجن في قضيتها ضدّ الفرنسي، ويحضر الصائت أيضا في كلمة "عينان"، و"جدار"، وكلاهما يعضد الدلالة الصوتية، فتشتغل جميعها وفق المعادلة الصوتية الدلالية الأدبية التالية:

¹ محفوظ كحوال، محمد بومشاط، كتابي في اللغة العربية - السنة الأولى من التعليم المتوسط، ص 54.

عينان (عضو الدلالة)



جدار (مكان الدلالة)



الكبرياء (طبيعة الدلالة)

ويعانق صائت " الواو " النص دلاليا أيضا ، ليرسم بدوره ملامح دلائليته التي تتجلى في البيت السابع منه، الذي يعبر بحسّ شعوري نابع من إحساس الشاعر ، أسقطه على البطلة جميلة ، ولا شك أنّ الشعور لديها أقوى بكثير ، كيف ! وهي التي تعيش الموقف.

يقول الشاعر:¹

وهي مذهولة : اتبلّع يوماً مثل هذا ندالة الأحياء!

فالواو بطولها، تشترك في عموم الدلالة على صبر المناضلة؛ ذلك أنّ الدهول ؛نتيجة اكتشاف الندالة والخسنة التي بلغت من الإجمام ما بلغت، وما هذا الاكتشاف إلاّ بعد طول تعاملٍ ، بين المستعمر والبطلة، التي قضت سنوات من السجن والتعذيب .

ومن ثمّ ، يعضد هذا الفونيم الصائتي نظيره السابق ، ليأتي الدور على الياء ، التي ما كان لطولها سوى أن ينزع بدوره نحو التفاعل الصوتي الدلالي ؛ ولعلّ تجانسها أقوى من الألف والواو ، ويكفيه قوّة أن اقترن باسم جميلة.

فكان لطول صبرها ونفسها النضالي نصيب من صوارة اسمها ، على سبيل الاستئناس التأويلي ، فذلك إذن مجموع أحوال الصوائت الطويلة في بناء التخريج الدلالي ، لنمضي قدما نحو النظر ؛أي القصيرة، التي تضيف بسناء دلالتها أثرا على نصّ لاحقٍ .

¹المصدر السابق، 54.

4/ النص التطبيقي الرابع:

آثرنا في جزئية الصوائت القصيرة أن نتكأ على نصّ من نصوص مقطع الأخلاق والمجتمع، الذي يحمل عنوان "أغنية البؤس" للشاعر ابن رحمون؛ لنؤكد به أثر الصوائت في الفعل الدلالي للنص، وتبليغه للمتعلّم.

وعليه نقوم باختبار الضمة والفتحة والكسرة صوتيا، ومدى طواعيتها التأويلية، بناء على ما تحمله كل حركة من خصائص، يمكن استثمارها في الفهم.

4-1 التعريف بصاحب النص¹:

شاعر جزائري، من مواليد ليانة بولاية بسكرة سنة 1921م، حفظ القرآن، وتلمذ على يد عبد الحميد بن باديس سنة 1936م، ومن محطات حياته أن مارس العمل في جريدة الوفاق بمرافقة عائلية من ابن عمّه، وذلك في وهران سنة 1940.

وشهد تعليمه تنوعا في الأماكن، أين صال وجال، كما اعتنق مبادئ الإصلاح، وعرف ميلا إلى التصوّف بعد الاستقلال، وعاد إلى بسكرة، وتذكر المصادر أنّه مرّ بمرحلة صعبة، اضطرّ فيها للبيت على الأرصفة.

ومن جانب آخر، كان لشعره مساحة في البصائر، وبعض الجرائد التونسية والمصرية، توفي سنة 1984 بمستشفى الحكيم سعدان في بسكرة، ويبدو أنّ شعره كما يقول المؤرّخ أبو القاسم سعد الله كان شعرا وجدانيا وقويّا وجميلا.

4-2 سياق النص وأهميته:

ينهض النص في قيمه على تحقيق النظر بعين الرأفة إلى الفقير، وهو ما يراد غرسه في المتعلّم، حتى يسمو بأخلاقه الذاتية والاجتماعية.

¹ ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (الجزء العاشر 1954-1962)، دار البصائر، الجزائر، طبعة خاصة، 2007، ص552.

فهو يضرب في عمق المجتمع، ليلا مس فئة قهرها الزمن ، وفعل فيها الفقر فعلته، فمدّت يدها على مضض، تطلب ما تسدّ به حاجتها ، فلاقت من اللوم ما لاقت نظير سؤالها ،فخصّ الشاعر هذه الأبيات؛ لكي يخاطب الناس داعيا إياهم بما يستلزم التخاطب تداوليا إلى التلطّف.

3-4 دور الصوائت القصيرة في البناء الدلالي:

يؤول تفاعل هذا النوع من الصوائت مع النصّ إلى عدّة دلالات،تواكب الموضوع في كليته بدءًا بصائت الضمّ الذي يتميز بثقله وقوّته¹؛ إذ يتشاكل معناها مع قوّة العلّة التي تحزّ في نفس المعلول؛ لاسيّما وأنّ النطق بها يتمّ بزّم الشفتين،وهوما يعني أنّها تتطلب جهدا كبيرا في النطق الفيسيولوجي . فالصائت ينسجم دلاليا ؛هذا الانسجام الذي يوافق قوّة الشعور الذي يحدثه الفقر في من يعانيه حتما،وهو ما يعبرّ عنه مستهلّ القصيد؛ إذ يقول الشاعر:²

لا تعدلوه فإن الفقر أضواه***و الحظ عاكسه و الدهر عاداه

فالضمّة تنصّب نفسها منذ الوهلة الأولى ممثّلا قوياّ للقيمة المركزية؛ في ظلّ تكرارها أولا ، ولوقوعها في القرائن التي تتناسب مع قوّتها؛ تلك الماثلة في ألفاظ (أضواه، عاكسه، عاداه)، فجميعها يثمر قوّة دلالية،يحملها اللفظ بتأثير من صواتته.

فالفقر الذي يذود عنه صاحب النص؛ قد أهزله الفقر،وعاكسه حظّ العطاء،وخاصمه الزمن الويّ الذي يبلغ الناس مقاصدهم في الوقت الذي يرغبون، وكيفما يشاؤون،وفي هذه الأقدار لمن القوّة النفسية التي تتعب صاحبها ؛ بالنظر إلى شدّة الحاجة التي لا مقابل لها لعدم القدرة.

وهو ما يجعل من النطق المصاحب للقرائن ثقلا إحساسا، فيجتمع الثقل الفونولوجي للصائت مع الثقل الشعوري الذي يعكسه البيت ،ويستمر هذا التجانس الصوتي الدلالي في دوال أخرى،تفرز هذا التقاطع.

¹ ينظر: مرني صنديد محمد نجيب، "كيمياء الخطاب القرآني في سورة الإخلاص" قراءة في إعادة إنتاج الدلالة من تفاعل العناصر اللسانية، مجلّة إحالات ،المركز الجامعي مغنية، ع03، جوان، 2019، ص119.

² محفوظ كحوال، محمد بومشاط، كتابي في اللغة العربية -السنة الأولى من التعليم المتوسط، ص74.

يقول الشاعر:¹

لا تنهروه إن استجدى ألفكم *** فالجوع آلمه والصبر أعياه

فالضمة هنا لها من الوضاحة في الثقل النطقي ما يزيد تأكيد القوة الشعورية للفقير، لتوافق الدلالة على القهر الذي يسلطه المجتمع، فيكون عوناً للفقير للنيل من المحتاج؛ فالأول قدر محتوم، والثاني انتقاص اجتماعي، يفرضه قانون القوة والضعف في الكائنات البشرية.

وفي التخريجين، نلاحظ أن الصائت في قوته التناغمية مع قوة الإحساس، يشتغل مع ما يعضده من جنسه المباين له؛ أي الصوائت الطويلة، وهو ما أمكن تفسيره بالتلازم بين قوة الحال، وطول نفس الفقير في الصبر على هول الفقر، و على أدى المجتمع.

فالضمة ليست صائتا حياديا في هذه القصيدة الرحمانية؛ بل لها أثرها الفونولوجي، ووقعها النفسي التأويلي في بلوغ المعنى الذي تحمله الأبيات، وهو ما يؤكّد وظيفة هذا النوع من الفونيمات داخل التشكيل اللغوي عموما، والشعر نموذجا.

لنطرق باب الفتحة بعدها، والتي لها من النظير التأويلي ما يلائمها هي الأخرى، ويعضد النص، فهذا الفونيم هو "أخفّ الصوائت"²؛ وقد تُؤوّل هذه الحقة بالمراد من رسالة النظم على سبيل الاستلزام التداولي، والتي يتغني منها الشاعر بن رحمون الدعوة إلى التخفيف، وتقليل الشدة عن الفقير البائس، فيكفيه شدة الفقر حتى يزيده الناس عدلا ولوما؛ إذ يحقق الصائت وظيفته الفونولوجية، فيعلو فوق الفكرة الجوهر التي عليها مدار الأبيات، ويؤطرها.

أما الكسر، فيسهم في ضوء ما يحمله من معنى يؤنّث به في العربية، كقولك أنت فعلت، وإنّك فاعلة³؛ والأثنى من أصلها الضعف؛ وقد يؤوّل هذا الخفض في القيمة الدلالية بضعف حال الفقير، بغضّ النظر عن اختلاف الجنس؛ ذلك أنّ قوة الحاجة لا تفرّق في أثرها بين ذكر وأنثى.

¹المصدر السابق، ص74.

²مربي صنديد محمد نجيب، "كيمياء الخطاب القرآني في سورة الإخلاص" قراءة في إعادة إنتاج الدلالة من تفاعل العناصر اللسانية، ص119.

³ينظر: كمال الدين أبي البركات الأنباري النحوي، الإنصاف في مسائل الخلاف، مطبعة السعادة، شارع جداوي، ط4، فبراير، 1964، ص536.

ومن ثمّ؛ تستوي الصوائت جميعها ليس شكلا فحسب، بل ببعدها التأويلي؛ فتسبغ على الأثر الشعري ما تسبغه الصوامت ، وهوما يؤكّد قيمة هذا النوع الفونولوجي أيضا في فهم النص الأدبي عموما، والتعليمي المتوسطي النموذج.

تلك إذن ملامح التأثير الفونولوجي على مستوى النظيرين الصامتي والصائتي، لنُدلف نحو معطى صوتي آخر ألا وهو المقطع syllable ، الذي يراد به "مزيج من صامت وحركة، يتّفق مع طريقة اللغة في تأليف بنيتها"¹.

فلهذا الجانب دوره أيضا في بناء تخريج دلالي ، بناء على أنواعه؛ إذ سنكتفي بالاشتغال على ثلاثة أنواع ، لنبيّن انسجام ما تحمله من معاني مع دلالة النص النموذج الذي سنختار ، فيضاف إلى جملة النصوص السابقة.

5/ النص التطبيقي الخامس:

هو نصّ نراهن عليه في تذويب -إن صحّ التعبير- المقاطع ضمن دلالة النصّ الشعري الموسوم "مولد محمّد" لكاثبه "محمد الهادي السنوسي الزاهري"، فما الذي يقدّمه المقطع لهذا النصّ دلاليا على سبيل الاستئناس التأويلي؟.

5-1 التعريف بصاحب النص²:

يشير الاسم المذكور لواحد من الشعراء والأدباء أبناء الجزائر ،الذي فتح عينيه في قرية ليانة بالقرب من مدينة بسكرة؛ إذ تلقّى تعليمه في كلّ من قسنطينة وتونس، كما أنّه من الذين سخّروا قلمهم للمشاركة في النهضة الإصلاحية.

هذا؛ والباحث في آثاره الأدبية، يجد قصائده متناثرة؛ إذ تتوزّع عبر صفحات الصحف الجزائرية، ومن أعماله " شعراء الجزائر في العصر الحاضر "جزءان، طبع بتونس سنة ١٩٢٦ - ١٩٢٧.

¹ عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي، ص38.

² ينظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر، مؤسّسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان 2، 1980، ص157-158.

5-2 سياق النص وأهميته:

يأتي هذا النص الشعري في سياق ديني إسلامي، يتحدث فيه عن مولد خير الخلق صلى الله عليه وسلم؛ ومن ثمّ تتجسّد قيمته في ربط التلميذ بدينه، ومن حمل إلينا هذه الرسالة الجليلة، فكان الرسول نورا، ولا يزال يستضاء به.

وكان الإسلام، وهو باقٍ منها وطريقا يصلح به الحال العربي، وإخراجه من براثن الجهل وظلماته إلى نور العلم والإيمان الذي به تستقيم الحياة، فمولده عليه الصلاة والسلام هو أعظم يوم في التاريخ الذي لا بدّ أن نحتفي به في حياتنا، وداخل نصوصنا.

5-3 الأثر الصوتي للمقطع في فهم النص:

ينهج المقطع نهجه الخاص؛ في بيان الأثر الصوتي على دلالة النص الأدبي المتوسطي؛ وذلك بالاستناد إلى تعريفه السابق، الذي يربط بين الصامت والحركة؛ إذ ينقسم عموما إلى عدّة أنواع، والتي نبين كل نوع منها في مايلي:¹

- المقطع القصير المفتوح (ص+ح)
- المقطع الطويل المفتوح (ص ح ح)
- المقطع القصير المغلق (ص ح ص)
- المقطع الطويل المغلق (ص ح ح ص)
- المقطع الزائد في الطول، وهو نوعان:
- أ- مديد (ص ح ص ص)
- ب- مزيد (ص ح ح ص ص)

¹ ينظر: حسن مزبان، علم الأصوات بين القدماء والمحدثين، ص 91-93.

فالمقطع الأول " أصل في بناء الكلم العربي ، لاسيما الأفعال منه ، وهو دالّ على الحركة فيها"¹؛ ولئن أردنا لهذا المعنى تقديرا تأويليا بما يربطه بالنصّ؛ فإنّ له نصيبه من نفس المسلم الذي يحرك المولد النبوي كيانه وشعوره ، ويزيد الأمر تأكيدا دلاليا أن المقطع نفسه ، يدلّ على " تتابع الأحداث حقيقة وزمنا"²، وهو ما قد يتوافق مع ما تقرّ به التقاليد والأعراف الاجتماعية السائدة؛ إذ يتتبع الاحتفاء بتاريخ المولد حقيقة زمنية كلّما تكرّر؛ ذلك على سبيل العموم في علاقته بالتيمة؛ وبالنظر إلى النص النموذج الذي بين يدينا؛ نجد هذا المقطع ، يحضر على سبيل المثال لا الحصر في قول الشاعر الزهراني³:

وعامك عامٌ لا تُماثلُهُ الدنى ... خصيبُ المراعي زهرةٌ منعشٌ رطبٌ

فالمثال في البيت ، يتمثّل المقطع الأول (CV / ص ح) في الفعل (تماثله) الذي يتكرّر فيه على يبدو أربع (04) مرّات أثناء التقطيع، وعدم التماثل هذا يفسّر تميّزه الشطر الثاني؛ في بلاغته الاستعارية التي تحيل على الكثرة والبركة.

فقد شبّه الشاعر مولد قائد البشرية بالعام المبارك، وهو ما يعضد بارتداد دلالي الدلالة المشار إليها، آنفاً ، و التي هي دلالة اجتماعية الأصل، تجعل من هذا المعطى الصوتي لا يكتفي بتشكيل كلمات القصيدة في بنائها عن طريق تآلف الصامت والصائت ، ضمن النظام المقطعي للعربية، بل يلقي بأثر معناه على الفهم ؛ فما هذه البركة التي يصورها البيت إلّا ذات صلة بالبركة الحقيقية في تصوّر الاجتماعي الممارس فعلا عن طريق الاحتفاء خارج كيان اللغة.

ومثله المقطع الثاني؛ في جعل معناه ، يقترب من فهم النص؛ لاسيما وأنه من النوع الطويل ، فيكون لتأويله وقع، يستمدّ من هذه الدلالة الطولية ، فتعضد التحريج الأول؛ في كون هذا الاحتفاء طويل طول المقطع ، ومفتوح كانفتاحه؛ فحبّ الرسول خالد لا ينقطع جبل ودّنا الطويل به ، ويظلّ مفتوحا على القلوب يشرحها.

¹ مرني صنديد محمد نجيب، "كيمياء الخطاب القرآني في سورة الإخلاص" قراءة في إعادة إنتاج الدلالة من تفاعل العناصر اللسانية، ص122.

² مرني صنديد محمد نجيب ، كيمياء الخطاب القرآني في سورة الكوثر - قراءة في إعادة إنتاج طاقة الدلالة القرآنية من تفاعل العناصر الفونولوجية-، مجلّة الباحث، المدرسة العليا بوزريعة، مج14، ع01، 2022، ص188.

³ محفوظ كحوال، محمد بومشاط، كتابي في اللغة العربية - السنة الأولى من التعليم المتوسط ، ص118.

الفصل الثاني: الأثر الفونولوجي في فهم النص الأدبي المتوسطي - نماذج من الأولى متوسط

فيتجانس المقطع بمعناه، وبطبيعة نوعه مع ما تحيل عليه التيمة في عمومها؛ ليشغل كذلك ضمن مساحة هذا الإبداع الخصب، الذي تترجمه هذه الصورة من الأساليب البلاغية؛ إذ نستحضر قول الشاعر¹:

وشَهْرُكَ من بين الشُّهور كأنَّه ... منارة نورٍ من لوامعها الشُّهُبُ

فضمن التقطيع المقطعي لهذا البيت، يتكرّر المقطع الثاني الطويل المفتوح أربع (04 مرّات)، في تشبيه السنوسي الزاهر لشهر المولد بالنور؛ وكأنّ برّيع الأوّل منارة مضيئة، ترسل شهباً منيرة، تعبيرا عن بركة ونورانية هذا اليوم العظيم الذي ولد فيه أعظم الخلق.

ولاشكّ أنّ شعاع الشهب في الواقع المادّي حين نراه، يجعلك تطول بنظرك الحسّي، لتستمتع بجماليته، وهو ما قد يناسب دلالة الطول التي ترتسم في محبّة محمّد الصديق الصالح لجمال أخلاقه؛ فيقع التجانس بين وصف مولده صلى الله عليه وسلّم، وما يقذفه في القلوب من محبّة طائلة أمد الدهر، نتيجة التزامه و قدوته.

فهذا المقطع يحدث في النص حركية نفسية تفعل دلالته، ليزوّدنا ثالث المقاطع ص ح ص/CVC بالتآلف الدلالي أيضا من وصفه الذي يؤول إلى القطع وما في معناه²؛ إذ يشتغل بما يتناسق مع العموم كذلك، قبل خصوص الشاهد الشعري.

فالمقطع هنا قطع، يشكّل مركزية أبيات النظم ككلّ، التي تدور في فلك المحبّة الصادقة لمحمّد، ما يدلّ جزما على أنّ الرجل هو قدوة للبشرية جميعا، الذين لم يحبّوه هو فحسب، بل أحبّوا الشهر الذي ولد فيه حبّا تراكميا عبر الزمن، ولا يزال وسيظلّ ممتدا.

¹المصدر السابق، ص118.

²ينظر: مرني صنيدي محمد نجيب، "كيمياء الخطاب القرآني في سورة الإخلاص" قراءة في إعادة إنتاج الدلالة من تفاعل العناصر اللسانية، ص122.

الفصل الثاني: الأثر الفونولوجي في فهم النص الأدبي المتوسطي - نماذج من الأولى متوسط

وبخلاف المقطع السابق المفتوح؛ فإنّ هذا المقطع مغلق، ينتهي بصامت؛ وهو ما قد يفسّر بانغلاق القلوب على حبّ محمدٍ صلى الله عليه وسلّم، فهي لا ترى ضمن هذا العلوّ الأخلاقي غيره، فحبّه يأسر القلوب ويغلقها.

وبالنظر إلى مركزية هذا النوع كما أسلفنا؛ فإنّ القصيدة كلّها تعدّ شاهدا تقطيعيا على دلالة القطع، فمتى توفّر المقطع في الأبيات؛ إذ لا يخلو بيت شعري منه إلّا وأضفى دلالة القطع بهذه القيمة البشرية الخالصة.

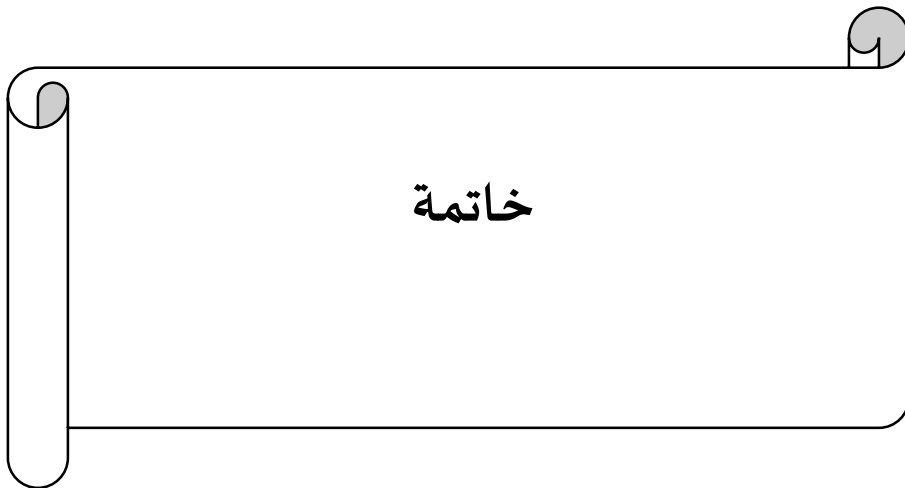
ومن ثمّ لا يكفي المقام أن نقطع كل الأبيات، وفي الوقت نفسه مراعاة خصوصية كل بيت بما يرسمه من جمالية بلاغية، وما يضيفه من معنى خاص على الكلّ، فحسبنا أن استثمرنا الطاقة التأويلية لهذا المقطع في فهم القصيدة وتيمتها.

تلك إذ بعض الشذرات من الأثر الوظيفي للصوت في رحاب النص الأدبي المتوسطي؛ إذ ركّزنا في عملنا على الشعر، الذي تحلّله نص سردي واحد، ولعلّ ما يبرّر هذا الميل نحو النظم هو سلاسة تذوق المعطيات الصوتية فيه، وما يحقّقه من جذب فنيّ أكثر من السرد في هذا الجانب.

خلاصة الفصل:

كان هذا الفصل محطة تطبيقية لازمة، نعزّز بها الطرح الجوهري للموضوع عمليا، والذي اخترنا فيه عديد مخرجات الجانب الصوتي التي قادتنا في نهاية المطاف إلى تخریجات دلالية، هي بمثابة مقاربات فقط، نقرب بها من النصوص النموذج من باب التذوق اللساني، والاستمتاع بالتأويل.

ومن ثمّ؛ تتضح لنا القيمة العلمية للصوت في فهم دلالة النص الأدبي عموما، ونصّ التعليم على سبيل التحديد المنوط بالبحث، وهو ما قد يجعل المختصّين في الطرائق التعليمية، ينهضون بالتطوير، واستثمار مخرجات العلم اللساني، التي نراها يسيرة على التلميذ في هذه المرحلة الدراسية، ولا ضير من توظيفها.



في ختام هذا التقصي المعرفي للأثر الفونولوجي في فهم النص الأدبي المتوسطي؛ فإننا نصل إلى جمهرة من النتائج، نختزلها في النقاط التالية:

1. يسلك النص الأدبي التعليمي في المتوسط مسلكا تأويليا في فهم معانيه، انطلاقا من التشكيل الفونولوجي لبنيته.

2. يتكيف هذا النهج العلمي مع قدرات التلميذ، لتوافق طواعيته مستواه التعليمي، فليس فيه من الصعوبة-في اعتقادنا- ما يعوق فهمه؛ حين البحث عن تخرّج دلالي فونولوجي للنص.

3. تفتح هذه المقاربة التأويلية لأصوات النص نفس التلميذ على التذوق الأدبي، كما تنهض بعقله، وتحمله على التفكير العلمي.

4. تحقّق هذه المقاربة التأويلية اللسانية، والصوتية الدلالية للنص الأدبي في المتوسط آفاقا أوسع لفهمه بدلا من تضيق صورته التعليمية في طابع السؤال والجواب.

5. تؤكّد هذه المقاربة أنّ النصّ الأدبي هو نصّ لغوي قبل كلّ شيء، وهو ما يستلزم استثمار البعد اللساني فيه، في أيّ طور تعليمي كان، وبأيّ مستوى من مستويات البنية اللسانية، منه المستوى الصوتي الفونولوجي.

وكفكرة جوهرية نختتم بها ختما عاما للموضوع من جميع جوانبه؛ فإنّ الاستئناس بالمستوى الصوتي الفونولوجي ضمن مجال التعليم، وتحديدًا في فهم المكتوب الذي يحتوي نصوصا أدبية، يقرب التلميذ من فهمه أكثر، يضاف إلى ذلك أنّ ربط هذا المتعلّم بالنص يكون ربطا عميقا، يعوّده على ممارسة التأويل الذي لا يتعدّى حدود مستواه بطبيعة الحال؛ كونه في المتوسط، بل حتّى توظيف المفاهيم والمصطلحات اللسانية، يتمّ في حدود قدرته.

توصيات:

يفتح هذا البحث آفاق توصيات، تتمركز حول إعادة النظر في طريقة تدريس النص الأدبي المتوسطي من جهة، ومن جهة أخرى فتح التعليم في الأطوار على مخرجات اللسانيات؛ بوصفها العلم الذي يمارس الدراسة العلمية للغة بدقّة علمية صارمة، قد تنعكس على الأدب دون أن تؤثر في جمالية تذوّقه.



• المصدر النموذج:

محفوظ كحوال، محمد بومشاط

كتابي في اللغة العربية - السنة الأولى من التعليم المتوسط، موفم للنشر، الجزائر، ط2، 2017.

• الهيئات:

اللجنة الوطنية للمناهج، المرجعية العامة للمناهج، معدلة وفق القانون التوجيهي للتربية رقم 04-08 المؤرخ في 23 يناير 2008.

• الكتب العربية:

1. ابتسام صاحب الزويني، ضياء العرنوسي، حيدر حاتم، المناهج وتحليل الكتب، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2013.
2. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1975.
3. أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.م)، (د.ط)، 1979.
4. أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1985.
5. أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.م)، ط30، (د.ت).
6. الأزهر الزناد، نسيج النصّ بحث في ما يكون به الملفوظ نصّا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993.
7. إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1979.
8. بسام قطوس، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2006.

9. حسين خمري، نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال ، منشورات الاختلاف ، الجزائر، ط1، 2007.
10. حلمي خليل، دراسات في اللسانيات التطبيقية، دار المعرفة الجامعية، مصر، (د.ط)، 2003.
11. خليل صلاح الدين بلعيد، لسانيات النص —ثنائية الاتساق والانسجام في خطاب الشعر العربي المعاصر، دار كردادة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2019.
12. رمضان عبد التّوّاب ، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1997.
13. رياض الجوّادي، المقاربات بالكفايات مدخل الكفايات: مفاهيمه ومقتضياته التعليمية والتقويمية، دار التجديد للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، (د.م)، ط1، 2018.
14. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي -العصر الجاهلي، منشورات ذوي القربى، (د.م)، ط2، 1427هـ.
15. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1980.
16. عبد الجليل منقور، النص والتأويل دراسة دلالية في الفكر المعرفي التراثي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2010.
17. عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي، مؤسسة الرسالة ،بيروت، (د.ط)، 1980.
18. عبد العزيز أحمد علام ، عبد الله ربيع محمود، علم الصوتيات ،مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، المملكة العربية السعودية، (د.ط)، 2009.
19. عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، منشورات الدار الجزائرية، الجزائر العاصمة، ط1، 2015.

20. عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط2، 2014.
21. عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دار هومة، للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2010.
22. عصام نور الدين، علم الأصوات الفونتيكا، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1992.
23. علي حسن مزبان، علم الأصوات بين القدماء والمحدثين، دار شموع الثقافة، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، ط1، 2003.
24. علي بن محمد الجرجاني، معجم التعريفات، حقق وقدم له ووضع فهارسه: إبراهيم الأبياري، دار الريان للتراث، (د.م)، (د.ط)، (د.ت).
25. أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، (د.م)، (د.ت).
26. أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
27. أبو القاسم جاز الله الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: باسل محمد عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1998.
28. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (الجزء العاشر 1954-1962)، دار البصائر، الجزائر، طبعة خاصة، 2007.
29. كمال الدين أبي البركات الأنباري النحوي، الإنصاف في مسائل الخلاف، مطبعة السعادة، شارع جداولي، ط4، فبراير، 1964.
30. ليندة قيس، عبد الوهاب شعلان، لسانيات النص النظرية والتطبيق مقامات الهمداني أمودجا، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2009.
31. مجد الدين الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ضبط وتوثيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د.ط)، 2010.

32. مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984.
33. محسن علي عطية، المناهج الحديثة وطرائق التدريس، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2013.
34. محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991.
35. محمد عزّام ، النص الغائب تجليات التناس في الشعر العربي -دراسة، اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، (د.ط)، 2001.
36. محمد علي عبد الكريم الرويني، فصول في علم اللغة العام ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر، طبعة 2009.
37. محمد مصاييح، شعرية النص بين النقد العربي والحداثي كافية أبي العتاهية تحليل أسلوبي، دار Taxidj Com، الجزائر العاصمة، (د.ط)، 2014.
38. محمد مفتاح، التشابه والاختلاف نحو منهجية شمولية، المركز الثقافي العربي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).
39. محمد مندور، الأدب ومذاهبه، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).
40. محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 2006.
41. محمود السعران علم اللغة مقدّمة للقارئ العربي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
42. محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط2، 2011.

43. مرتضى جبار كاظم، اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني -قراءة استكشافية للتفكير التداولي عند القانونيين، منشورات الاختلاف، ط1، 2015.
44. نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، جدارا للكتاب العالمي عمان، ط1، 2009.
45. هدى صلاح رشيد، تأصيل النظريات اللسانية الحديثة في التراث اللغوي عند العرب، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2015.

• الكتب المترجمة:

- دومنيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف الجزائر، ط1، 2008.

• المقالات المنشورة:

1. أماني علاف، الأدب العربي وتوظيفه في تعليم اللغة العربية، مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، مؤسسة برابدو للخدمات التعليمية بالمملكة المتحدة، وبالشراكة مع مركز الأبرار للدراسات الإنسانية بالسودان، مج4، ع1، يناير 2023.
2. بولخطوط محمد، إشكالية النص والخطاب بين الأصل والفرع، مجلة دراسات، جامعة بشار، مج7، ع2، 2012.
3. بومعراف نسيم، أحمد سعيدي، انعكاسات الإصلاح التربوي في الجزائر على التحصيل الدراسي للتلاميذ في مرحلة التعليم المتوسط - دراسة ميدانية بإكمالي يوسف العمودي، بمدينة بسكرة، مجلة دفاتر المخبر، جامعة محمد خيضر بسكرة، مج7، ع1، 2012.
4. رشيدة بودالية، النبر ووظائفه في اللغة العربية، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، مج23، ع4، 2023.
5. زوليخة علال، التعليمية المفهوم، النشأة والتطور، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة برج بوعريريج، ع4، جوان 2016.

6. سلاف عطّابي، النص الأدبي في ضوء المقاربات البيداغوجية الحديثة، مجلة الرستمية، مجلّة ابن خلدون، تيارت، مج1، ع1، 2020.
7. فاطمة محمد إبراهيم محمد، العاطفة في الشعر قصيدة ابن سَفَر المريني أنموذجا، المؤتمر العلمي الدولي الثاني لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج ، 1444هـ/2023.
8. قدور إبراهيم محمد، الخيال و المعنى الأدبي و الاستعارة في منهج النقد اللغوي، Revue LAROS، جامعة محمد بن أحمد وهران 2، مج11، ع1، 2019.
9. مبارك بالنور، العلاقات الأسرية في المجتمع الجزائري بين الأصول التقليدية والحداثة التكنولوجية، مجلة نوميروس الأكاديمية، المركز الجامعي مغنية، مج3، ع2، 2022.
10. محمد بودريالة، المقاربة بالكفاءات المفهوم، الخصائص والمستويات، مجلة البحوث والدراسات، جامعة الوادي، ع6، جوان، 2008.
11. محمد سيف الإسلام بوفلاقة، النص الأدبي :إشكالية المفهوم وتعدد الدلالات - مقارنة مفاهيمية وصفية-، مجلّة المداد، مجلّة زيان عاشور، الجلفة، مج12، ع2، 2022.
12. مرني صنديد محمد نجيب، "كيمياء الخطاب القرآني في سورة الإخلاص" قراءة في إعادة إنتاج الدلالة من تفاعل العناصر اللسانية، مجلّة إحالات ،المركز الجامعي مغنية، ع03، جوان، 2019.
13. مرني صنديد محمد نجيب ، كيمياء الخطاب القرآني في سورة الكوثر - قراءة في إعادة إنتاج طاقة الدلالة القرآنية من تفاعل العناصر الفونولوجية-، مجلّة الباحث، المدرسة العليا بوزريعة، مج14، ع01، 2022.
14. نواري سعودي أبو زيد، المنهج التداولي في مقارنة الخطاب المفهوم والمبادئ والحدود، مجلة فصول، مصر، ع77، 2010.
15. هيثم بن عمار، المستوى الصوتي وأثره في توجيه الدلالة -قصيدة الاستنجد في الأندلس أنموذجا، مجلّة المؤئل، المدرسة العليا للأساتذة بمستغانم، مج2، ع2، ديسمبر 2025.

• المواقع الإلكترونية

<https://2u.pw/ItkUuj>

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
شكر وتقدير	
إهداء	
مقدمة	أ-د
مدخل	
الفونولوجيا: المفهوم ومتعلقاته	
1- في ماهية الفونولوجيا	11
2- موضوع الفونولوجيا	13
3- أهمية الفونولوجيا ووظائفها	15
4- الفونولوجيا بين التراث اللغوي العربي والدرس اللساني الحديث	19
الفصل الأول	
تعليمية النص الأدبي وعلاقتها بالفونولوجيا	
توطئة	22
أولاً/ في ماهية النص الأدبي	22
1/ مفهوم النص	22
1-1 النص في الثقافة العربية	23
1-2 النص في الثقافة الغربية	26
2/ في ماهية الأدب	31
1-2 الأدب لغة	31
2-2 الأدب اصطلاحاً	32
2-3 خصائص النص الأدبي	35
ثالثاً/ في حدّ التعليمية	37
1-3 التعليمية لغة	37

38	2-3 التعليمية اصطلاحا
39	3-3 تعليمية النص الأدبي
40	رابعا/الفونولوجيا في صلتها بتعليمية النص الأدبي
41	خلاصة الفصل
الفصل الثاني	
الأثر الفونولوجي في فهم النص الأدبي المتوسطي _ نماذج من الأولى متوسط _	
44	توطئة
44	أولا/ التعريف بالطور المتوسط
45	ثانيا/ كتاب اللغة العربية للأولى متوسط
49	ثالثا/ التحليل الفونولوجي لنصوص مختارة
49	1/ النص التطبيقي الأول
49	1-1/ التعريف بالكاتب
50	2-1/ سياق النص وأهميته
52	3-1 دور الصوامت في التوجيه الدلالي للنص
56	2/ النص التطبيقي الثاني
57	3/ النص التطبيقي الثالث
58	3-1 التعريف بصاحب النص
58	3-2 سياق النص وأهميته
59	3-3 دور الصوائت الطويلة في تفعيل الدلالة
61	4/ النص التطبيقي الرابع
61	4-1 التعريف بصاحب النص
61	4-2 سياق النص وأهميته
62	4-3 دور الصوائت القصيرة في البناء الدلالي

فهرس الموضوعات

64	5/النص التطبيقي الخامس
64	1-5 التعريف بصاحب النصّ
65	2-5 سياق النص وأهمّيته
65	3-5 الأثر الصوتي للمقطع في فهم النص
68	خلاصة الفصل
70	خاتمة
72	مكتبة البحث
79	فهرس الموضوعات

ملخص:

تندرج هذه الدراسة البحثية، ضمن البحوث التربوية واللسانية المعاصرة ؛ في إطار تعليمي، يستند إلى معطيات اللسانيات، وتحديدًا الجانب الصوتي الفونولوجي؛ لبيان أثره في فهم النص الأدبي، ضمن نشاط فهم المكتوب في كتاب اللغة العربية للسنة الأولى متوسط.

فالهدف منها أن تفتح المجال التعليمي على مخرجات اللسانيات، فيتم استثمارها من طرف المعلم بشكل يناسب قدرات التلميذ؛ وفي ضوء هذا، يمكن أن تلفت الانتباه إلى ضرورة التجديد في الطرائق التعليمية؛ لكي يستفيد حقل التعليم من نتائج العلم اللساني.

فتناولت في الفصل الأول الجانب المفاهيمي للمصطلحات الأساسية التي تشكّل الكينونة العلمية لهذا الموضوع، وخصّصت الفصل الثاني بجملة من النماذج لتحسيد هذا المنظور العلمي القائم على التواشج المعرفي بين اللسانيات وحقل التعليم.

الكلمات المفتاحية: التعليم؛ اللسانيات؛ الفونولوجيا؛ النص الأدبي ؛ التعليم المتوسط

Summary:

This research study falls within the realm of contemporary educational and linguistic research, employing a pedagogical framework based on linguistic data, specifically phonology, to demonstrate its impact on understanding literary texts within the reading comprehension activity of the first-year middle school Arabic textbook.

Its aim is to broaden the educational landscape by incorporating the findings of linguistics, enabling teachers to utilize them in a way that suits students' abilities. In this light, it highlights the need for innovation in teaching methods so that the field of education can benefit from the results of linguistic science.

The first chapter addresses the conceptual aspects of the fundamental terms that constitute the scientific framework of this topic, while the second chapter presents a series of examples to illustrate this scientific perspective, which is based on the epistemological integration between linguistics and the field of education.

Keywords: Education; Linguistics; Phonology; Literary Text; Intermediate Education